الفصل الحادي عشر

أرض أز

في ساعة مبكرة من الصباح التالي، وكنت قد رجعت لفراشي بعد أداء صلاة الفجر، استيقظت من نوم خفيف إثر صوت إطلاق نار مصدره الأحياء المجاورة. وكان ذلك مدعاة للدهشة والانزعاج. وكنت على وشك شتم أولئك الذين تسببوا في مصدر هذا الإزعاج عندما علمت على التو أن ذلك الصوت لخمس بنادق أطلقت عدة أعيرة بغرض التحية على شرف مقدمي. وكان بيني وبين مكان إطلاق النار جمل صغير (حاشي) ملقى على الأرض ويتدفق منه الدم حيث تم نحره احتفاءً بي.

وعند وصولي مساء الليلة البارحة لاحظت بمزيد من الحزن والانزعاج أن صالح ابن حزيق لم يكن ضمن المجموعة التي تجمعت للترحيب بي مرة أخرى. وتوقعت أن يكون قد ذهب إلى المزارع. ولكن في المساء وصلتني رسالة منه مفادها أنه سيتصل بي في الصباح. ويعزر عدم حضوره مبكراً للترحيب بي إلى وجود ضيوف معه ليلة وصولي. وقد راودني إحساس بأنه كان يقصد به التجاهل ولكن تيقنت الآن أن ذلك لم يكن صحيحاً البتة. وربما كان قد عرف أن مراسيم الترحيب بي لم تكتمل؛ لذا فقد اختار صالح أول فرصة في صبيحة اليوم التالي ليزجي لي تحية خاصة وذلك بذبح عجل سمين على أنغام عزف موسيقى. ولكني كنت مرهقاً للغاية بسبب سفري طوال الليل وأخلدت إلى الراحة. ولم أتمكن -لسوء الحظ- من مشاهدة المراسيم التي أقيمت للترحيب بي.

وعندما صحوت وجدت صالح بن حزيق بجانبي. وهو رجل ضخم الجثة، تبدو عليه أمارات الأبهة والاعتداد بالنفس وعدم الاكتراث للآخرين. وكان يجلس بجنبه رجل صغير السن يرتدي ملابس غريبة وسرعان ما حيّاني الرجلان، ونهضت من فراشي لتحية الرجلين. وقدم لي صالح المدعو حمد بن ناصر القردعي. وهو أي حمد، من الهاربين من العدالة وكان يرتدي معطفاً قصيراً وسترة أهل اليمن. ويبدو

من نوعية ومستوى حياكة ملابسه أنه من عِلْية القوم. وكان الأخير وأخوه المدعو عليًّا حكاماً على كل من إقليمي الجوبة وحَريب اليمن. وقبل ثلاث سنوات خلت غضب عليهم الإمام (حاكم اليمن) بسبب تمردهم على سلطته. وقام السيد عبدالله بن الوزير بإخماد تمردهم. وربما يُعَّرف عبدالله بن الوزير أكثر بأنه كان مندوب اليمن في المفاوضات التي أفضت إلى اتفاقية الطائف عام ١٩٣٤م. واعتقل علي وتمّ سجنه لكنه هرب لاحقاً، أما حمد فقد هرب فور إخماد التمرد. وأعلنت السلطات اليمنية أن كليهما هارب من العدالة وأنه يجب القبض عليهما أو قتلهما عند رؤيتهما. وكان حمد يعيش في سلام وهدوء مع مجموعة من القبائل البدوية في وادي مرخة عندما علم بوصولي إلى شبوة؛ لذا فقد كان يريد مقابلتي للتوسط لمنحه الحماية من ابن سعود. فكل ما أستطيع عمله وقتئذٍ هو إعطاؤه الحماية والأمان إلى نجران ومن هناك أخبر الملك عبر جهاز لاسلكي بموضوعه للبت فيه. ورفض الملك إعطاءه الحماية تنفيذاً لبنود اتفاقية الطائف التي تحظر إعطاء حق اللجوء للهاربين من وجه العدالة.

ورجوعاً إلى مناسبة لقائنا الأول، فقد ذهبت مع صالح وحمد إلى التل لمناقشة بعض الموضوعات الخاصة بخططنا المستقبلية. وخلال اللقاء -وبينما نحن نتشاور في بعض الأمور الهامة- كنت أسترق النظر إلى معبد عشتارت لإمتاع ناظري بمختلف زواياه. وتقول الروايات الشفهية: إن تدمير شبوة يعزى إلى عقوبة إلهية لقتل النبي صالح الذي دفن في وادي سر، بواسطة سكانه. وثمة إشارة هنا وهي أنه يوجد نبيان يحملان هذا الاسم «صالح» في الجزيرة العربية قديماً [1]. والأكثر أهمية هو صالح ابن عبيد الذي أدى اغتياله إلى تدمير مدينة النبطيين (ثمود) في مدائن صالح في الشمال. ويعزى سبب سقوط شبوة إلى صالح بن حيسة حمير.

---

(١) مما هو معروف لدى المسلمين أنه ليس هناك نبيان يحملان اسماً واحداً، وإنما المعروف أن هناك نبياً واحداً اسمه صالح -عليه السلام-، وليس إلى ما ذهب إليه المؤلف من وجه. (المراجعون).

والروايات العربية بـحقل آب الابن وليس حفيد أرفـحشذ[1]. وهذا الدليل في حد ذاته ليس كافياً لترجيح الاحتمـال بأن صالحاً هو جد هود كذلك من المستبعد أن يكون بنو هود في أسبـانيا تربطهم صلة قرابيـة مع الأخير. ولكن إذا كان صـالح قد تسبب في تدمـير شبوة، فـيبدو لي استناداً على الأدلة الظاهرة لأطلال شـبوة أن الله القادر قـد سخّر زلزالاً أو حـملة حربية لتـدمير ذلك المـكان انتقامًـا لرسوله، ويمكن الاستنتاج من المعلومات التي يضمها أحد النقوش التي جمعتها من موقع القلعة والذي يشير إلى إصـلاحات كثيرة لسـقف معبد شبـوة بعد انهياره نتـيجة لزلزال. وفي كل الأحوال فقد هُجرت المنطقة وعمّ الخراب بسبب السيول لاسيما بعد أن أهملت وسائل الري.

وبينما كنا جلوساً نستمـتع بمنظر المدينة تجاذبنا أطراف الحديث في المواضيع أعلاه فضـلاً عن أمور أخرى عديدة. وكـان حمد القـردعي في بيحان عندمـا زارها الرحالة ماكسويل دارلنج. وفي طريقه إلى وادي مرخة انضم إليـه عبدالله بن صالح من عشيرة همام أحد فروع قـبيلة العوالق الذي أحضر معـه رسائل من قبيلته ومن عشـيرة النسبين تدعوني لزيارتهم حيث إن كليهـما كانا مندهشين بتفاصيل مغامـرات ماكسويل دارلنج، وعلى الرغم من أنني لا أستطيع التيقن من مصداقية تفاصيل قصة هذه المغامرات، إلا أنني سأوردها هـنا كما سـمعتـها من ألسنة هؤلاء الرجـال. ويزعم هؤلاء أن سلطات عدن كانـت لديها أسبابهـا في إظهار غضبـها تجاه الشيـوخ في إقليم أحور في سلطنة العولق السفلى؛ ولهـذا فقد توقفت عن تقديم المساعدات والإعـانات المالية التي كانت تقدم لهم باعتبـارهم تحت حماية الحكومة البريطانية. وفي فترة لاحـقة (في نهاية يونيو ١٩٣٦م) وصل ماكسويل دارلنج بحراً إلى ساحل أحور بغية القيام برحلة إلى بيحان في

(١) سنا عاد المؤلف مرة أخرى إلى الخوض في تاريخ الأنبياء اعتماداً على مصادر ضعيفة مثل الروايات الشفهية أو الإسرائيليات وغيرها والتي لا يخفى على القارئ التحريف والخلط الظاهر فيها. وفي مصادرنا الأصلية القرآن الكريم والسنة النبوية ما يغني عن هذه الأقاويل التي لا تستند إلى أساس. (المراجعون).

منطقة العوالق. ويقول ماكسويل استناداً إلى خطاب وصلني منه: «كانت الرحلة متعبة خاصة وأن أهالي العوالق كانت لديهم أفكار مسبقة عن المال... وعليه كانوا يتوقعون نفحهم إتاوات للسماح لي بالمرور عبر أرضهم، فضلاً عن السيارة (ما يدفع نظير خدمات الأدلاء). ولم أكن مستعداً لتلبية هذا الطلب مما سبب لي بعض الإزعاج».

وأظهر شيوخ أحور استياءهم من تصرف الحكومة البريطانية بإيقافها للإعتقالات التي كانت تقدمها لهم حين قاموا باعتقال الرحالة ماكسويل دارلنج وحراسه في وادي المنقعة حيث كان لهم فيه قريتان فضلاً عن بعض الأراضي الزراعية. وقد طلبوا المال ورفض طلبهم. وصلت الأخبار إلى يشبم، حيث طُلب من السلطان أن يرسل فرقة قوامها ٤٠٠ جندي قامت بفك ماكسويل وأدلائه من الأسر مما مكّنه من الوصول إلى بيحان في سلام.

وأرسلت حكومة عدن طائرات عندما سمعت بأخبار هذه الأحداث من يشبم وبيحان، وذلك لضرب قرى أحور. ولكن حدث أن أخطأت الطائرات الهدف وأصابت قذائفها الجربة (مناطق زراعية) وهي تابعة لأقوام لا علاقة لهم البتة بأحداث الأهوار ونجم عن ذلك تدمير الحقول الزراعية ومقتل امرأتين. ونتيجة لذلك الحادث استشاط أهالي القتلى غضباً واحتجوا لسلطات عدن عن هذا العمل الاستفزازي. وفي نهاية الأمر اعترفت الحكومة بالخطأ واعتذرت للأهالي كما دفعت لهم تعويضات سخية. ويواصل صالح بن حزيق تفاصيل هذه القصة زاعماً أن الطائرات عادت الهجوم مرة أخرى ودمرت القريتين بالقنابل ،لكن لم يصب أحد من الأهالي بسوء؛ لأن القرى كانت قد أخليت قبل وقوع هذا الحادث. يدعي الحزيق -دون إشارة إلى مرجعية لمصدره- أن الطائرات الحكومية قد أمطرت المنقعة بلدة قبيلة أحور بالغازات السامة والتي لم تدمر المحاصيل الزراعية فحسب، بل جعلت هذا المكان غير صالح للزراعة لما يربو عن ثماني سنوات، ولا أجد نفسي مصدقاً لموضوع استخدام الغاز السام لتخريب منطقة قبيلة أحور بيد أن القصة -في تقديري- حقيقية في جوهرها.

وهي تعليق نبيه على رسائل بريطانيا في (الحماية) التي يطلب منا جدياً تصديقها. جاء في تقرير لمحاضرة القيت مؤخراً في القاعدة الجوية لمحمية عدن، إنه بعد شهرين من الإرهاب الجوي المستمر في منطقة أحور، أظهرت قبيلة صعبة المراس في هذه المنطقة رغبة في التخلي عن معاداتها للفاتحين. وفي تقديري إنه لا يمكن تصديق مثل هذه المقولة فضلاً عن قناعتي بأن هذه القبيلة نفسها لا تريد أن تعامل بهذا النهج. ولا يوجد إنجليزي واحد يشعر بالبهجة والسرور وهو يرى نوعية المعاملة التي عامل بها الطليان الأثيوبيين. وثمة إشارة هنا، وهي أن مقالاً افتتاحياً لجريدة التايمز (١٥ مارس ١٩٣٨م) أعلن «إن استمرار وسائل العنف تحت أي ظرف من الظروف لأجل المحافظة على الأمن ولو كان عملاً مشروعاً فإنه يدعو الأهالي إلى الاستياء وإدانة الحكومة البريطانية». فهل هذا هو الحال؟ وماذا عن فلسطين وحضرموت؟

وفيما يخص قصة الغاز السام، وكما ذكرت آنفاً، لا أصدق هذا الموضوع، لكن ماذا يتوقع المرء عندما تكون الحكومة البريطانية غبية ليس فقط في استخدامها للغاز السام المسيل للدموع ضد العرب في فلسطين لكن في إذاعتها ذلك الخبر للملأ ومن خلال أجهزة الراديو؟! ولا يستطيع المرء أن يتصور الفارق بين السم والغاز المسيل للدموع فكليهما يبدو عملاً مفزعا.

ورجع ماكسويل بغتة من بيحان إلى عدن بالطائرة. وفي فترة لاحقة، وبينما حمد كان لا يزال موجوداً في بيحان وقبل أسبوعين من مقابلتي له وصلت طائرة بتعليمات من الأمير للبحث عن نورمان بيرن، الذي يتوقع وصوله إلى هنا في أية لحظة. وتبعاً للمعلومات التي أفادني بها حمد، فإن أخبار تجوالي قد وصلت بيحان من مصادر عربية في نجران وشبوة. ومن الواضح أن الكابتن هاملتون البوليس السياسي المسؤول عن تلك الأصقاع قد أحاطهم -كما رأينا سابقاً- بتحذير سلطات عدن لي بمغادرة المنطقة. ولكن هذا لا يمنعني من تلبية دعوة كريمة لزيارة بيحان

أرسلت إليَّ بواسطة عبدالله بن صالح الهمامي من حاكم بيحان وتوابعها القاضي أحمد بن عتيق البكري الأنصاري. والرسالة الخاصة بهذه الدعوة كتبت وأرسلت إليَّ من وادي مرخة كما تذكر الرسالة نفسها، حيث ينتظرني حاكم بيحان هناك برفقة مجموعة من قومه. ولسوء الحظ لم أتمكن من الوصول إلى وادي مرخة إلا بعد أسبوعين من تاريخ الرسالة بسبب تأخير طويل في حضرموت.

وكانت الرسالة مكتوبة بهذه العبارات: «أمير الأمراء وعظيم العظماء المبجل الحاج عبدالله فيلبي... إنخ. أود أن أحيط مقامكم الكريم عندما أعلمنا الضبط السياسي بمقدمك ومعيتك من مرافقين إلى محميتنا الشرقية، فقد ابتهجنا بذلك متمنين من الله أن يجعل مقدمك فأل خير وسلام لهذه المنطقة التي فقدت العدالة والطهارة. وقد قمت بالتحدث إلى أهالي هذه المنطقة وأسديت لهم النصح في شؤونهم الدنيوية والروحية ونبهتهم بضرورة الطاعة والولاء لسيدنا وملكنا إمام العصر وخليفة الزمان وخادم كلمة الله. فالإله يقدر العدل والرحمة، عبدالعزيز آل سعود، فليهبه الله النصر لأجل حقوق أهل المحمية التابعة لصاحب الجلالة ملك الحكومة البريطانية الرحيم المهيب والحامي لبلدنا من اعتداءات الأعداء، وخادمكم -يعني نفسه أي كاتب الرسالة- في شوق لمقدمك أنت وأتباعك في "أسفل مرخة" بكل الحب والتقدير، وأستميحك بالتعجل في القدوم لأن إبلنا في حالة يرثى لها ولا تجد علفاً تقتات به... لذلك فنحن في انتظارك... وهذه الرسالة كتبت على عجل، وآمل أن تقبل ذلك، وقد أصدرت تعليماتي إلى شيخين هما مبخت بن سالم بن شملان الهمامي وأحمد (عبدالله) بن صالح الهمامي لمرافقتك إلى أن تصل مرخة، لاسيما أن قبيلة همام لديها حق الحراسة وذات نفوذ فاعل...».

هذه هي الرسالة التي وصلتني من حاكم بيحان. وذهب مبخت ليعلن للملأ أنني لم أصل بعد أما عبدالله فقد بقي لمرافقتي إلى مرخة. وأخطرت سلطات الحكومة في

عدن بالاستناد إلى سلوكيات السلطات معي، بأني لا أنوي السفر إلى بيحان أو أرض سلطان العوالق. وعرفت من تحرياتي مع عبدالله أن عشائر همام والنسبين لا تعترف بحماية حكم سلطان العوالق أو السلطات البريطانية في عدن. وأكد ذلك لي لاحقا كل من صالح الحزيق وحمد القردعي. ورغم قبولي الدعوة إلا أنني قررت ألا أدخل أي منطقة تحت نفوذ حكومة عدن أو سلطان العوالق المحمي من السلطات البريطانية. واستفسرت من صالح عن صحة المعلومة التي وصلتني تلغرافياً من السلطات البريطانية في عدن ومفادها أن شبوة والكرب يقعان تحت نفوذ سلطان العوالق. وكان رده باخرف: «هراء![1] كذّابون، هذه هي بلادنا ولايوجد حاكم لها سوانا». ومن جهة أخرى، فإن سلطان شبام كان على رأي مؤداه أن شبوة تقع ضمن مناطق نفوذه وليس تحت حكمه مباشرة. ولذا لم يجرؤ أي من السلطانين على زيارتها دون إذن من أهلها.

ولم تكن دعوة مرخة هي الأولى التي تلقيتها. وفي صبيحة يوم مغادرتنا شبوة في الطريق إلى حضرموت، جاءني صالح وبرفقته رجل غريب المظهر، وعلى بدنه سترة من جلد الأسد ويتمنطق حزام حفظ الرصاص. وكان حديثه غريباً مع حركات تبدو كأنها نتاج إعاقة طبيعية. وكان هذا الشخص هو حمد بن عبد الله زعيم أهل الضباب من عشيرة وادي جردان وكان في طريقه لزيارة زوجته، من الفقراء، وأولاده الذين كانوا يقطنون في منزلهم بقرية حجر. وكان الرجل يتحدث بحماس عن الأطلال الكافرية التي تقع في منطقته، وادي البنا في أعلى عياذ بالقرب من النقطة التي ينتهي فيها وادي جردان ويتحول إلى سهل فسيح. وقدم حمد بمودة شديدة - دعوته لزيارة قبيلته-. ووعدني كحافز لذلك إهدائي علبة صفيح مملوءة بعسل جردان الشهير والغالي الثمن. ورغم أنني لم أكن قد عزمت رأيي بعد فيما يخص تحركاتي في المنطقة، إلا أنني أعطيته موافقتي المبدئية على هذه الرسالة ووعدته بأن أرسل له

(١) يخون - كذابة. (المؤلف).

صالحاً -إذا سمحت الظروف بالزيارة- لتحديد ميعاد الحضور إلى ديار عشيرته. وفي فترة لاحقة اتفقت مع صالح بأن أزور مخيم حمد في وادي أنصاب والذي سيمكث فيه بعض الوقت قبل أن يعود أدراجه إلى بلدته. وأرسلت إليه خطاباً بهذا المعنى لمقابلتنا في المستقبل المنظور بمعية أعيان عشيرته.

وفي غيابنا جاء وفد من قرى وادي عرما الواقع أعلى وادي شبوة والكثيف السكان، مقدماً لنا دعوة لزيارة تلك المنطقة. وبالإضافة إلى طريق عقيبات الذي عبره جواً هلفريتز قادماً من شبوة، فإن هناك طريقين آخرين للقوافل من حضرموت إلى مستوطنات عرما. فالطريق الأول يتفرع من طريق شبوة عند بئر مجوعة ماراً بوادي دُهر حيث يتناثر العديد من القرى الصغيرة. ويواصل الطريق مسيرته إلى وادي عرما. أما الطريق الثاني فيبدأ من وادي المطر من نقطة بئر عساكر ويدخل وادي عرما من أسفله. ومن المحتمل أن هلفريتز رجع عن طريق هذا الوادي بعد أن مكث قليلاً في قرية الضلع ولكن من الملاحظ أنه لم يعط تفاصيل لرحلته سوى ذكره لأسماء سبع قرى -إحداها لا أستطيع تحديدها في قائمة القرى التي أعطيت لي بواسطة عدة رواة من شبوة-. لكن المدهش أنه ذكر في كتابه المعنون «أرض بلا ظل» أنه لمح قرية عرما ولم يزرها. ولكن من المؤكد أن القرية التي يقصدها هي عياد وليس عرما. وفضلاً عن ذلك فإن زعمه بأن عرما كانت منطقة غير مأهولة بالسكان لا أساس له البتة. ومما يؤكد ذلك ما ذكره الملازم طيار أ. ر. م. ريكاردز عام ١٩٣٣م الذي زار منطقة وادي دُهر ووادي عرما وقام بمشاهدة وتسجيل أعداد كبيرة من القرى على امتداد هذه المنطقة. ويبدو أنه لم يحاول زيارة شبوة.

لم أكن أعرف شيئاً عن رحلة ريكاردز في ذلك الوقت، ولم أكن متحمساً لأحدد أسفاري في ذلك الاتجاه. أدى التأخير الطويل في حضرموت إلى تعديل في برنامجي لأنه إذا أزمعت زيارة كل من جردان ومرخة فلن أجد متسعاً من الوقت لزيارة عرما؛ لذا فقد أقنعت نفسي بأن أجمع أكبر معلومات ممكنة عن تلك القرى.

وجدير بالملاحظة أن الجرف الذي يقع موازياً لوادي شبوة يشكل الحدود الشرقية لقبيلة الكرب والتي تتبع لنفس مجموعة قبائل عرما. وأسفل وادي عرما تقطن عشائر المشايعة التي توجد قراها في الحمة والجيف والسمحاء ومسلب. وأكثر أهمية من هذه العشيرة هي مجموعة «آل عمرو»، التي تقطن وادي عرما وتتجمع قراها في العقيبات وهي حبيظ، وحصن سنديان، والكويرة ومستوطنة كربية منعزلة وتسمى المافود. أما الوادي الذي يقع أمام هذه المنطقة فتسكنه عشيرة «آل بادخن»، التي تتوزع في قرى الحُشم وباكيلة والحرة والأكواخ الصغيرة المتناثرة في وادي الحنكة وهو أحد ثلاثة أودية يكون التقاؤها في وادي عرما والاثنان الآخران هما ينجل وهو خال من السكان وسمرة والذي تقطنه عشيرة عبد الصمد من مجموعة الفقراء. ويفترض أن القنوات الثلاث المذكورة تنحدر من منطقة تقسيم المياه.

إضافة إلى المستوطنات التي ذكرت أعلاه، فإن منطقة الفقراء (المشايخ) تتناثر فيها العديد من القرى هي: الجيزة، والخليف، والضلع العليا والسفلى، والصفاة، والحصا، والكورة، والمنقلة، والحرة ومعلا، ويجدر التنويه إلى أن أكبر قريتين وأهمهما في المنطقة هما المافود والضلع اللتان زارهما وصورهما الرحالة هلفريتز. وأما تحالف قبائل بلعبيد فهو ينحصر باستثناء قبيلة الكرب التي تحتل منطقة السهل في الأودية داخل هضبة حوق وتمتد مناطق هذا التحالف من أراضي جردان إلى أعلى وادي رخية.

وبعد الظهر ذهبت ومعي صالح وابنه الصغير حمد الذي أعطيته حلوى كنت قد أحضرتها من حضرموت. أخذت السيارة في زيارة تفقدية للأطلال التي أسماها صالح بئر حمد بن قطيان. سميت باسم الأخير لأنه قام بمحاولتين لحفر بئر قديمة في هذا المكان على مسافة ميلين أسفل قناة معشار الذي يصبح في هذه المكان وادياً رملياً واسعاً محاطاً بغطاء نباتي والعديد من أشجار العلب الخضراء. وفي الجانب الأيسر من ضفة الوادي يوجد جرف تعلوه الأطلال التي نود زيارتها. ويبدو أن هذه الأطلال

عبارة عن حصن يشغل مساحة تتراوح بين ١٧-١٨ قدماً وتتناثر حولها أكوام حجرية توحي بوجود كوخ صغير أو مجموعة من الأبنية الخارجية ذات العلاقة بالحصن. وهناك سبعة مداميك لا تزال شاخصة للعيان تشير إلى أن الحصن من الصراز السيكلوبين ويشبه ما يناظره في روابي كمشة ومدعر، ويبدو أن هناك رابية صغيرة تم الحفر فيها إلى مستوى الصخر البكر لوضع الأساس الحجري للبناء الذي يبدو في مظهره في غاية الجمال مقارنة بما يحيط به من مناظر، ويلاحظ أيضاً أن أرضية الحصن تتناثر حولها كسر الفخار الأحمر في حين تقع البئر بين الجرف الصخري والحصن وهي مربعة الفوهة بقطر يصل إلى خمسة أقدام وذات قصبة مضفورة بكتل الأحجار الصغيرة كما توجد آثار لقناة ماء قديمة.

وغربت الشمس قبل رجوعنا للمعسكر. ولاحظت أن الجو هنا أكثر برودة مقارنة بحضرموت. وعند العشاء وصلت مجموعة الجمالين الذين رافقونا إلى شبوة بقيادة جعمل الذي قال لي بالحرف: «التزمنا أن نأخذك من نجران إلى شبوة وبالعكس، وإن جمالنا في حالة سيئة ومن الأفضل أن نرجع إلى نجران قبل أن تنفق. والآن تريدنا أن نذهب إلى مرخة وما شابهها. فلقد انتظرناك هنا لما يربو على شهر ونريد أن نرجع أدراجنا إلى عوائلنا، ولا نستطيع أن نصل إلى مرخة. وسوف لن نذهب معك».

وكان هذا التمرد بواسطة الأدلاء كريهاً وبغيضاً كما أنه غير متوقع. ويجدر التنويه إلى أن الجمال كانت ترعى وكانوا لمدة شهر يرفلون في حياة هانئة وكانت كل مصروفاتهم على حسابي الخاص. وفي ظل هذا الوضع دعوت إلى اجتماع عاجل ضم كلاً من سعد بن معيلم، وصالحاً وآخرين، وفيه واجهني صالح قائلاً: «أنت الذي أفسدت جعمل بمعاملته كشيخ وهو لا يعدو أن يكون مجرد جمّال. وهو ليس أفضل من الآخرين». ولكن لم ينفرط عقد المودة تماماً بين النجديين ويام وإن كانت الأخيرة كثيراً ما تتذمر من تعاملي الحذر والذي كنت أراعي فيه مشاعر البدو. إن

المشكلة تكمن دائماً في المحافظة على تماسك العناصر المختلفة في المجموعة. فسعد ومجموعته من النجديين يتحكمون في توزيع المؤن كالقهوة والشاي والسكر. وفي الوجبات فإننا نأكل مع بعضنا ولا سبيل للتفرقة بالرغم من أن سعداً وأصحابه كانوا يرتبون في طريقة أخرى. ومهما يكن من أمر فإن الذئاب التي آويناها بعناية كانت مستعدة للانقضاض علينا.

وهذا التمرد يجب أن يخمد أو يخفف من غلوائه بأي ثمن. ولكن لن أتنازل بسيه عن عزمي زيارة عياذ ومرخة. وللوهلة الأولى كنت على رأي وهو أن أتجاهل المتمردين وأتركهم وشأنهم ليذهبوا إلى ديارهم كما أعلنوا ذلك. وإذا ما تم ذلك فلسوف يخسرون ما تبقى لهم من أجر. ولكن صالحاً أكد لي أننا لن نستطيع أن نجد جمالاً تأخذنا إلى نجران أو حتى إلى الآبار على مقربة منها في ذلك الموسم. وكان البديل المتاح لنا هو أن نترك معظم المجموعة في شبوة أو يتحرك فوج صغير إلى مرحة بغية تجنب رحلة العودة. ولكن الأدلاء أكدوا لي عدم وجود طريق للعربات غربي طريق شبوة - عارين للقوافل. ولهذا فقد قبلنا على مضض خيار الرجوع إلى شبوة.

وسألت صالحاً عن الآبار في الجانب الآخر من الصحراء. وكان المتمردون من الأدلاء قد رغبوا في الرجوع عبر أقصر طريق، وهو الذي أتينا عبره، ولكني رفضت هذه الفكرة. وقال لي صالح: «الطريق إلى بئر بوع مباشراً وهي تقع على مسافة قريبة للجنوب من الشضيف». وسألت: «هل هناك أي بئر في هذه المنطقة يمكن أن نصلها جنوب بوع؟». فأجاب صالح: «فقط مأرب» وقلت له: «حسناً، لا أريد الذهاب إلى مأرب لأن الحكومة اليمنية لديها موظفوها هناك. ولكن مسعودة هي المكان الأمثل لنا. ومن هنا نستطيع أن نذهب إلى مرخة ونرجع إليها مرة أخرى ومن ثم نتوجه إلى مسعودة». لذلك فقد بدأنا نتفاوض مع المتمردين الذين أظهروا في البداية مشاكسة. وكانوا يودون الرجوع إلى الشضيف، ولم يكونوا على دراية ببوع أو مسعودة.

واعتقدوا أننا سنستدرجهم إلى مسيرة طويلة. وتحدث كل من صالح وسعد وابن مدعار إلى المتمردين في الوقت الذي ذهبت فيه للاسترخاء مع توقعي بأن كل شيء سيسير على ما يرام. وسوف تنتظرنا مجموعة الجمالة في شبوة ليأخذونا إلى مسعودة حيث توجد أنقاض أثرية كما يقول صالح.

قررت أن أترك كل مرافقي من النجديين خلفي وأنا في طريقي لزيارة منطقة قبيلة الكرب وذلك لعدة أسباب هي أولاً: أن جمالهم كانت تتبع لعشيرة يام المتمرة، وثانياً: لعدم حاجتي إليهم أثناء تجوالي في ديار الكرب وفي ضيافة كل من عشيرتي همام والنسبين. علاوة على ذلك وبالنظر إلى رفض السلطات في عدن مرافقة نجديين مسلحين معي، انتابني شعور بأن أبرهن لهم بأنني يمكن أن أسافر في محمية عدن بسلام بهم ومن دونهم في الوقت نفسه؛ ولذا احتفظت بأكثر هؤلاء المرافقين أهمية وهم سائق وميكانيكي السيارة وفراج القحطاني لصيد الطيور، وسعد ابن عثمان لسلخها ومحمد بن هضيل للطبخ وإعداد المائدة. أما بقية الفريق المرافق فقد كان من الأهالي المحليين وهم صالح بن حزيق، وعبدالله بن مدعار ومعيض وجميعهم من قبيلة الكرب، وهناك ناصر بن شماخ من عشيرة المرادعة (نهد)، وحمد القردعي اليمني الهارب من وجه العدالة وعبدالله بن صالح الهمامي الذي وصل ضيوفه إلى مرخة. ويبلغ عدد المكورين حتى الآن اثني عشر فرداً ثمانية منهم يركبون في السيارتين والأربعة الآخرين على الجمال. وفي وادي أنصاب وعياذ انضم إلينا حد أفراد قبيلة الكرب وآخر من عشيرة النسين كأدلاء للقافلة فأصبحت مجموعة القوة أربعة عشر رجلاً يتم تقسيمهم إلى مجموعتين ثمانية وستة أثناء المسير على أن تتقيا فقط أثناء الليل في المعسكر. وفي رحلة العودة من وادي مرخة تستمر مجموعة الإبل إلى معسكر صالح في أنصاب وتأخذ السيارتان طريقاً مستقلاً.

وصحوت في صبيحة اليوم التالي بشعور مفعم بالراحة بأن مشاكلنا قد انتهت. وكان قد بدا على زعماء التمرد بعض الخجل لكنني تجاهلتهم. ومنذ الفجر وحتى

التاسعة صباحاً كنت مشغولاً ببعض الأمور الثانوية. فقد جاء علي بن عفيشة وهو يعلن صداقته الدائمة لنا وبادلناه عبارات التحية والتقدير. وفي أثناء ذلك جاء بعض المتسولين من القرية وهم يتلهفون لمساعدة. وأخطرت سعد بن عثمان بأنني لن أقفل راجعاً إلى شبوة وعندما تصله رسالة مني تفيد برجوعي إلى أنصاب فيجب أن يستعد لاستقبالنا في عارين وهي المرحلة الأولى في رحلتنا عبر الصحراء. جاء سعيد الذي كان مع ماشيته لوداعنا وبما أنني قد أعطيته بما فيه الكفاية من قبل فلا أظنه يتوقع هدية إضافية. وعلي بن عفيشة كان هو أيضاً سعيداً وراضياً. وقد كنت أنا كذلك. وعند الساعة التاسعة والنصف بدأنا رحلتنا.

وتنتهي "جزيرة "شبوة شمالاً على شكل شاطئ شبه دائري يبلغ ٣٠٠ ياردة تقيع خلفه قناة محباض التي تتصل بقناة معشار كما يلتقي الأحباب ليصبا معاً في رمل قوصة والنسر الشرقي. وعند عبورنا لقناة معشار مررنا بشاطئ تحيط به جروف رسوبية ويقع غربه سهل رملي مغطى جزئياً بالحصى يسمى أم حامد. والأدلة على الزراعة القديمة في هذه المنطقة كثيرة وكافية وهي تمثل ألواحًا حجرية لقنوات عتيقة. وخلف هذه المناظر يمكننا رؤية هضبة العرين التي تعد مقصدنا في الأيام التالية.

وكنا في روح معنوية عالية في مستهل يوم عطلة ملؤه النشاط. ومناظر الغزلان الثلاثة التي ترعى في المكان مغرية لا تقاوم. طاردنا الوعل (ذكر الغزلان) في اتجاه طرق الرمال حتى دخلناها وبقينا بين الكثبان المتعارضة أو المنخفضات بينها. وأنقذ حيته وحل السيارة في نقطة ضعيفة من الرمال. وبعد جهد تمكنا من إخراج السيارة ورجعنا للسهل متجهين نحو عُقْلة[1]. وتبدو كل هذه المنطقة الواسعة تحت الزراعة عندما كانت شبوة عامرة. وتحركنا إلى أعلى لصعود أحد الجبال حتى أتمكن من رؤية

(١) عُقْلة: جبل بحضرموت بالقرب من شبوة، وهو غني بالنقوش الحميرية، كان يحتفل فيه الملوك الحميريون عند تتويجهم وإعلانهم اللقب الذي يتلقبون به بعد توليهم العرش. المقحفي، معجم المدن والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، ط١٩٨٥، ص٢٩١. (المراجعون).

المنطقة. صاح صالح يناديني بأنه قد وجد كتابات في بعض الصخور التي يعلو قمتها مبنى صغير. وفي أثناء ذلك كانت بقية المجموعة تبحث عن أماكن ظليلة بين الصخور لتجهيز بعض المرطبات أو للنوم.

ويبلغ ارتفاع قمة هضبة عقلة حوالي سبع مئة إلى ثمان مئة قدم فوق مستوى السهل. ولم أتجرأ بتسلق قمتها ولكنني التفت باتجاه الصخر لرؤية ما يحمله الحزيق والذي كان يشير إليه بصورة متقطعة. وقد ألجمت لساني الدهشة لما رأيت. فقد كان سطح الصخر الذي يواجهني مغطى بالنقوش. وعندما تفحصت النقوش ملياً تبين لي أن كل جوانب الصخر مزدانة بهذه الكتابات الصخرية. ويبدو أنها أهم المعثورت الكتابية في إقليم شبوة. وبدأنا نضحك بأصوات خافتة وساورنا شعور بأننا قد عثرنا على الكتابات التي رفض محمد أن يدلنا عليها. إلا إذا نفحته مبلغًا من المال ولم ير محمداً بعد ذلك إلا بعد رجوعنا من وادي مرخة إلى مخيم صالح حيث علم ببلوغنا منطقة النقوش. ففي الصحراء تصلهم كل الأسرار. وفي نهاية الأمر أعطيته ما كان يبتغيه من المال. وكنت أقصد أن أعطيه المبلغ قبل أن يسألني وهذه عادة عندهم تزعجني. فعندما قررت شراء اللحم للغداء فاجأتني هدية من زوجين من الغنم. ومثل هذه الهدايا تكلف الضعف!

وكانت صخرة عقلة التي وجدت عليها النقوش من الصخر الرملي، خشنة الملمس مربعة الشكل طول ضلعها يبلغ ٢٢ قدماً. وفي الجهة الشمالية الغربية تكون قاعدة مربعة ارتفاعها ثلاثة أقدام وعلى قمتها توجد أطلال أثرية. وهي عبارة عن حصن مربع الشكل يتكوّن من ألواح من الحجر الجيري الجيد التشذيب -يبدو أنها جلبت من مكان قصي عن موضعها الحالي-. أما الجانب الأوسط لكل جدار فيتشكل من ألواح غير مشذبة «دبش» من الحجر الرملي والأحجار الناعمة. وهناك سبعة مداميك من الألواح الحجرية ملتصقة مع بعضها بطريقة غير متقنة، لا تزال شاخصة للعيان حتى الآن. ويكون البناء الجزء الأكبر من أعلى قاعدة الصخرة ويشغل حيزً

يبلغ عشرة أقدام مربعة. ولا يمكن الوصول إليه من الأرض إلا بواسطة مجموعة مدرجات مهدمة، تبقى منها نصفها مما استدعى أن نساعد بعضنا بعضاً بغية الوصول إلى البناء. ومن المؤكد أن البناء ذو طبيعة عسكرية أو مخفر شرطة خصص لحماية الأراضي المزروعة والتي يبدو أنها تمتد من شبوة إلى هنا بحوالي عشرة أميال. ولوحظ وجود صهريج ماء مبني عند أسفل الصخرة في الجزء الجنوبي الشرقي منها، ويبلغ ضلعه عشرة أقدام وارتفاعه خمسة أقدام. ويبدو أنه استغل لسقيا الجمال التابعة للحصن. فإذا كان ذلك هو الحال، فمن المرجح أن المياه كانت تجلب من مكان آخر حيث إننا لا نرى أي أثر لبئر هنا، وقد أخطرني صالح مؤخراً بأن عشيرته التي تقطن في منطقة عقلة المجاورة عثرت على بقايا منازل وآبار عند أسفل الجبل في الجهة الشمالية. لذلك فإن عقلة التي عرفت في النقوش باسم «أنواد»، كانت بالتأكيد مستوطنة زراعية.

وفي الجهة الشرقية من صخرة عقلة، يوجد ١٤ نقشاً تتضمن٩٠٨ حروف، يبلغ المتوسط ٦٥ حرفاً للقطعة الواحدة، وأطول هذه النقوش يضم ١٩٣ حرفاً وأربعة أخرى تحتوي على ما يزيد على ١٠٠ حرف. وتوجد نقوش تشمل ٨٧٨ حرفاً بمتوسط ٥١ حرفاً بينما أطولها يبلغ ٢٨٢ حرفاً، بينما نجد أن اثنين منها تضم فقط أربعة أحرف. وفي الجانب الجنوبي للصخرة يوجد ١٩ نقشاً أطولها يحتوي على ٩٩ حرفاً وثلاثة منها ذات أحرف تبلغ في المتوسط ٣٤. أما الجانب الغربي فقد وُجد فيه نقشان إحداهما يحوي ٤٦ حرفاً والآخر خمسة أحرف. وهناك صخرة منفصلة بالقرب من صخرة عقلة تقع إلى الغرب من قاعدة الحصن نفذت فيها ثلاثة نقوش تضم ٤ و ٢٢ و ٢٥ حرفاً. وتبلغ جملة النقوش في هذا المكان ٥٥ نقشاً تشمل ٢٥٣١ حرفاً بمتوسط ٤٦ حرفاً للنقش الواحد. وتجدر الإشارة هنا إلى أنني بذلت جهداً كبيراً في تسجيل كل هذه المادة وكنت أعمل حتى مغيب الشمس ولقد هدني الإرهاق من عناء العمل المتواصل رغم الكميات الكبيرة من الشاي التي كنت

أحتسيها. ورغم ذلك كله، فقد كنت أشعر بالرضى عن النفس لهذا الإنجاز. وأهمية هذه النقوش تم التنويه بها بواسطة عالم الكتابات أ. ف. ل. بيستون من جامعة أكسفورد والذي نجد تقريره عنها منشوراً في ملحق لهذا المجلد.

ومن موقعنا في الحصن عند أعلى الهضبة يمكننا رؤية مناظر كثيرة. وبإمكاننا رؤية قبة (ضريح) ابن يوسف وجبال شبوة إلى الشرق، بينما تقع إلى الجنوب راية عياذ بملاحاتها. وباتجاه الجنوب الغربي المعتم رأينا جبال عطفان الممتدة من وادي مرخة إلى بيحان. وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والنصف عندما استأنفنا الرحلة وقطعنا حوالي أربعة أميال، توقفنا بعدها للتعرف على مناجم استخراج الملح في خروة التي أخذت اسمها من واد يهبط من مرتفعات الغبر وفي هذه المنطقة شقت العديد من الحفر التي تحتوي على صخور ملحية. ولوحظ أن هذه الحفر صغيرة وضحلة وغير منتظمة الشكل مثل مناجم شبوة. وهي مثل ملح المقعة يعمل فيها بدو الكرب أثناء رعيهم لقطعانهم في الأودية المجاورة. تقع المرتفعات في اتجاه شمال جنوب وعلى بعد ثلاثة أرباع الميل من بعضهما ويقع المنخفض بينهما على نحو ثلاثين قدماً فوق مستوى السهل.

ومن هذه المنطقة تحركنا بجهة الجنوب عبر السهل. ولكن سرعان ما وجدنا أنفسنا في مطاردة قطيع يتراوح بين سبعة إلى ثمانية غزلان، ظفرنا باثنين منها. وبعد ذلك توجهنا قاصدين قرن الضبيا عبر واد متسع تكسوه الشجيرات الصغيرة يسمى مذنب آل جعفر، ويرتفع الجبل نفسه ١٠٠ قدم تقريباً فوق الوادي. ويبدو أنه مستودع كنز دفين حسب ما ترويه الإشاعة السائدة. لا يعلم أحد كيف انتشرت هذه الإشاعة ولكن صالحاً تلقى نقداً من عشيرته لرغبته في أخذي لذلك المكان. وقد سألني بعض أعضاء بعثتنا في المعسكر إذا ما وجدت الكنز وكنت أخبرتهم بأنه لا يوجد شيء مثل ذلك.

يمثل هذا الجبل آخر نقطة من المرتفع الحصوي الذي يمثل الضفة اليسرى لوادي أنصاب. وهناك كتلة أخرى من الحصى في اتجاه الغبر المرتفعة مع منخفضات تملأ

المسافة بين أنصاب وجعفر حيث يكونان دلتا واسعة تخرج في مقابلة حزام السبعتين الرملي.

كان وصول سيارتنا علامة لتجمع الأهالي المندهشين لرؤيتنا وقد أقمنا كالعادة في مكان فسيح على طرف معسكر صالح وأسرته. وقد غادر صالح المكان لقضاء بعض الأمور الخاصة بشؤون قبيلته. وبقينا لوحدنا إلى أن حان موعد تناول طعام العشاء المكون من لحم الماعز وعصيدة القمح (البر). وبعد أن فرغنا من الطعام لم يكن هناك شيء يستوجب مناقشته مما دفعني للعودة لمواصلة عملي. وكان يقطع خلوتي فقط الزيارات المتقطعة من بعض الأهالي الذين كانوا يرمقوننا بنظرات محدّقة وهم في حالة اندهاش لكنني لم أعرهم اهتماماً وواصلت عملي بدأب ونشاط، وكان ضمن هؤلاء الأهالي الابن الأكبر لصالح. ويبدو لي أنه فظ السلوك يبلغ السادسة عشرة أو السبعة عشرة من العمر. وقد جاءني في منتصف الليل وبصحبته زوجته المدعوة رحمة، والتي أحضرت لي طاسة من الحليب. وكانت هي التي جهزت لنا طعام الغداء عندما زرنا مخيمهم في هضبة الكوير وكان منظراً لطيفاً، إذ توجد خيام البدو وسط الشجيرات وتتلألأ نيران المعسكر لتضيء وجوه الذين يجلسون بالقرب منها. تقف الأصنام هادئة والجمال تتأمل في أحداث اليوم!.

عندما استيقظت على أثر صوت المؤذن للصلاة وجدت أن الرمل كان بارداً تحت أقدامي العارية وكشف فجر اليوم منظراً جذابا لخضرة النبات، لاسيما الثمام وغيره من نباتات الصحراء، التي دبت فيها الحياة بعد هطول الأمطار مؤخراً. وكان أول من جاءني صباح ذلك اليوم سيدة تدعى محسنة هي والدة المرأة الشابة. وقد أحضرت لي حليباً مع تضرعها لله تعالى بأن يسبغ عليَّ بركته. ومن الحضور أيضاً الشيخ ناصر ابن قطيان. وتواصلت الزيارات فقدم إلي حمد بن ناصر وهو في العقد الخامس من عمره، نصف أعمى وشبه أطرش وأعرج وقال لي: «ذبحنا لك خروفاً الليلة الماضية». وذكرت له أننا أحضرنا معنا غزالين ورغم ذلك أعطيته ريالين. وكان هناك

مجموعة من الشبان (البدو) يسألون في بعض الأحيان أسئلة تلزمها اللباقة، وكنت أرد عليهم بجدية. وبعضهم كان يسأل عن الهدف من وراء صيدنا لبعض الطيور وقلت لهم مجيباً بأنا نأخذها معنا إلى المتحف، فرد أحدهم مستغرباً: «ماذا قلت؟». فأجبته: «إنه -أي المتحف- بيت كبير في مدينتنا الكبيرة مليء بالحيوانات والطيور جلبت من أصقاع كثيرة من العالم». وغادرني وهو في ريبة من أمري، هل أنا كذاب أم مجنون؟

وكان صباح اليوم التالي جميلاً، وتعطل سيرنا بسبب تأخر صالح لمدة أسبوع لقضاء بعض شؤونه. واستفدت من فترة التأخير لأقوم بدراسة المنطقة المجاورة. واتضح لي أن الجزء الرئيس من سلسلة جبال غالب منفصلة عن الجزء المركزي من هضبة الحوق ووادي العطف يفصل بينهما. وخلف وادي أنصاب يوجد خليج وسع تشكله هضبة حصوية ويقبع وراءه منظر منطقة زراعية تعرف باسم جربت الكافر حيث ذكر صالح بأنها مكان زراعة مشهور في السابق. ومما يعزز ذلك الرأي وجود كسر لألواح حجرية متناثرة في المنطقة مساحتها حوالي نصف × ربع ميل وربما كانت بقايا لقنوات عتيقة. وفي أقصى يمين هذه المنطقة توجد بقايا ألواح حجرية لسد سائي ذي فتحات ضيقة يبدو أنها تسمح بتدفق المياه إلى الخزان من مكان عال خفه والغريب في الأمر أن هذا الخزان يستمر إلى أعلى قمم المرتفعات وعلى امتدادها لمسافة معتبرة. ومن الصعب التكهن بمغزى هذه الجدران المرتفعة. وإذا كانت فعلاً جزءاً من الخزان فإنه لا شك كان ضخماً ويحفظ كمية كبيرة من المياه. والخزان «حقل الشيطان» كان منشأة ذات أهمية قد لا تكون واضحة اليوم. وسألت الهمامي عن مذبح بعل وسلاسل الحديد المحيطة به والتي ذكرها ويمان بيري في كتابه «أرض أز». وقد أكدّ على كلام بيري وقال إنها ما زالت موجودة في منطقة النسبين في باعلوان.

وخلف الهضبة الجنوبية لجربت الكافر، يظهر واد تكسوه شجيرات صغيرة يسمى وادي الفليق ويبدو أنه كان يمتد من منطقة جرف صخري بين الغبر والملكا

ويتجه نحو الشمال الغربي باتجاه أراض رملية. وبعد مسيرة ميلين وصلنا إلى نقطة تقع على الجانب الأيسر لوادي أنصاب وتطل على منظر غابة في غاية الجاذبية والجمال. وعند أسفل الجرف الصخري تقع مجاري مياه أجفر الرخم الضحلة. وفي المنطقة السفلى والعليا للنهير الجاري نلحظ أن الوادي تغطيه كميات كبيرة من الأشجار المظللة وشجيرات الأكاسيا الشوكية ترعى فيها قطعان من الضأن والجمال. وهناك مجموعات القبائل البدوية رجال ونساء تجوب المنطقة وترى حينا وهي تمتح المياه من الآبار لسقيا الحيوان. ومكان السقيا يسمى الغدير، على وجه التعميم. وعادة تسحب المياه من حفر ضحلة لا يزيد عمقها على قدمين وتسمى فضايا ومفردها فَضِية.

ونزلنا إلى منحدر وعر يبلغ عمقه ٢٢ قدماً ونحن حفاة وانضممنا إلى مجموعة الأهالي الموجودة قرب الآبار. ويلاحظ قرب كل بئر امرأة تقف وأرجلها ثابتة وهي تملأ الدلو بالماء الذي سرعان ما يغطس ثانية داخل البئر حالما يسحب إلى أعلى حيث تقوم امرأة أو اثنتان بتفريغه في الأحواض المعدة لذلك. وعلى أي حال هذا العمل سهل ويقضي القائمون به الوقت في الأحاديث والمزاح. ولوحظ أن النساء يلبسن ملابس بأكمام طويلة ذات لون أزرق غامق من جراء صبغة النيلة. ومعظم النساء يرتدين عقوداً، وربما ترتدي إحداهن ثلاثة أو أربعة عقود في جيدها، أما الأحزمة حول الخاصرة فهي مزدانة بالخرز والفضة والكهرمان وبعضها مزخرف بسلك على هيئة ثعبان من المعدن. ومعظم هؤلاء النسوة جميلات. والملاحظ أن أيديهن وأرجلهن مغطاة بالنيلة التي تحل في الإقليم الجنوبي محل الحناء. بيد أن أجمل هؤلاء النسوة امرأة من عشيرة آل بريك التي ترعى مواشيها عادة مع مواشي قبيلة آل عويرة وبقية القبائل وهي جذابة ترتدي عباءة جميلة بلون داكن للغاية من جراء صبغة النيلة ولكنها جديدة ومن المؤكد أنها جزء من جهاز عروس. وهناك حزام على هيئة ثعبان وسلسلة من الفضة مزدانة بقطع زجاجية موضوعة حول الخصر. ومن المؤكد أنها بنت الشيخ ودون شك أنها، سيدة خيمة الشيخ. ويجدر التنويه هنا إلى أن مهر الزواج لدى

الكرب والقبائل المجاورة لها يتراوح بين ٥٠-٢٠٠ ريال وفي أحايين أخرى ينخفض إلى أقل من ٥٠ ريالاً.

وبينما كان المرافقون لي منهمكين في ملء أوعية المياه الجلدية للرحلة (القرب): أخذت بندقيتي وخرجت للصيد. وكان أول الصيد حصولي على نوع جديد من طائر القطا. وحصلت على آخر في المساء نفسه في عياذ. ولم أكن أدري أنني عثرت على نوع جديد ويظهر أنه مختلف عن أنواع القطا الأخرى بلونه الفاتح مقارنة بالنوع المعروف للعرب باسم القطاط، والذي يأتي عادة لشرب المياه بعد حلول الظلام. وثمة إشارة هنا وهي أن الكولونيل بوسكاوين جمع عدداً من هذه الطيور قبل سنة أو سنتين خلت. ولكن لم يعر المتحف البريطاني أي اهتمام خاص لما جمعته أنا وبوسكاوين من هذا النوع من الطيور. وبعد أشهر قليلة تحصلنا على مجموعة من هذه الطيور من و. هـ. إنجرام الضابط السياسي في عدن الذي جلبها من حضرموت. وتم الآن التعرف على هذه الطيور ووصفها وسميت انجرامز وتحصلت أيضاً على طائر الوقواق. ولاحظت أن الوادي مليء بالأنواع العادية من الطيور مثل: البلابل، الحمام، ما يعرف باسم طيور الشمس، وصائد الذباب والأبيض الحنجرة والنجوم السوداء... إلخ.

يمتد وادي أنصاب إلى هذه المنطقة من جرف الغبر في جهة الجنوب الشرقي. ومن هنا يتجه نحو الشمال. ويتكون بطن هذا الوادي من الحجر الرملي ذي اللون الأحمر وتبرز عند جوانبه الطبقات الرملية والحصوية. يتكون الفليق في الأجزاء المرتفعة على طول الضفة اليسرى للوادي. عبرنا بعد ذلك قنوات أسفل الغرغر وأسفل لظحة الهابطة أرض المكلا الرأسية. ومررنا في طريقنا إلى وادي غشن بالعديد من القنوات المائية تشمل الجفان وأم القفل. هنا أقمنا معسكرنا للقيلولة تحت ظل الشجيرات المحدود، وكانت درجات الحرارة عند الظل تتراوح بين ٩٨-٩٩° فهرنهايت مع مرور نسيم طيب. وينحدر هذا الوادي (غشن) من خليج صخري شديد الانحدار

بين مرتفعات المكلا والـديس. وبعد الساعة الرابعة بعد الظهـر اشتد هبوب الرياح من جهة الشمال وفي غضون ذلك كانت هناك بقع صغيرة من السحب تسبح في الفضاء.

وفي السـاعة الرابعـة والنصف استـأنفنا المسيـر مرة أخـرى تاركين غثن بـاتجاه الجنوب الغربي وقاصدين عـياذاً ومررنا بسهل حصوي يقطعـه في بعض الأحيان عدد من القنوات والسدود لاسيـما في منطقة جردان حيث تمتد الأراضي الزراعـية البدائية حوالي نصف ميل على جانبي قناة جردان -مذنب جردان كما تسمى في هذه المنطقة- ولمسافـة عدد من الأمـيال أعلى المجرى من خـط طريقنا الذي يتبع الحـد الأسفل من الحقول تفـادياً للمشاكل. بعد مـسيرة خمسـة أميال من غثن واثني عـشر من أنصاب وصلنا قناة جردان ذات الأشجار الكثيرة. تقع قـرية عياذ نحو ميل من هذه النقطة في اتجاه أعلى المجرى وبهـا مبنى وحيد يشبه الـقلعة - حيدان وجوبية ربما لحـماية حدود منطقة الزراعة .

وصلنا قرية عياذ الساعة الخامسة والنصف. وعند مدخل القرية كان كل الرجال من أهلها -أربعون أو خمسون- قد تجمعوا لاستقبالنا. وأطلق عياران ناريان تحية لنا. وبعـد ذلك نظم أهل القرية أنفـسهم فـي صف طويل قبـالتنا. ومن ثم تقدم حـرس الشرف لتـحيتنا وتبـعهم الرجال لمصـافحتنا. وكـان بعض الرجال يحـملون أطفالهم الصغـار ربما لأهمية الزيارة التاريخـية. أو قد يكون لخـروج النساء من المنازل في يوم عطلة. وكان أحد الرجال مجذوماً، أبيض ومـصفر البشرة. ورغم ذلك لم يظهر أهل القرية أي نفور منه بل قام بمصافحتنا واحتـسى معنا القهوة. وأحضر أهل القرية بعض الحصائر التي فـرشت على الأرض وجلسنا نتجاذب أطراف الحديث ونحتـسي القهوة إلى مغيب الـشمس حيث تفرقنا للوضـوء وأداء صلاة المغرب. وبعد انقـضاء الصلاة أحضر أحد الرجال قـطعة من الحجر الرملي عليها نقش باللغة الحميرية كلمة واحدة (عثـقان) "Athtobqan" وقال: إنه مجلوب من أطلال حـجر عند أعلى الوادي. علاوة على ذلك، فقد عرضت قطع أخرى ضئيلة الأحجام تشمل حلية نحاس صغيرة

وبعض العلامات التي يستعصي فهمها فضلاً عن حبة مثقوبة لنظم قلادة. وللوهة الأولى رفضت زيارة هذا المكان الأثري الذي جلبت منه هذه المعثورات وذلك حتى لا أشجع الأهالي على الجشع والمطالبة بهبات مالية؛ لذا فقد جلست لكتابة مذكرات بعض الأمور الأخرى. ولم يعكر هدوء خلوتي سوى بعض خطوات المارة -جيئة وذهاباً- من على البعد. وفي وقت متأخر قليلاً من الليل قدم وفد كبير من أهل القرية برئاسة الشيخ وفي حوزته اثنان من الأغنام للعشاء. لقد طال الليل في انتظار العشاء كما زادت جمهرة الزوار. وتبعاً لهذا الوضع الطارئ أجلت فكرة المسوحات الفلكية التي كنت أنوي القيام بها إلى وقت متأخر. ومما عضد هذا الرأي بالتأجيل أن السماء كانت ملبدة بالغيوم في تلك الليلة. ونسبة لعدم ذهاب الغيوم فقد تركت الفكرة وأخذت حبة الدواء وخلدت للنوم عند الساعة الحادية عشرة والنصف ولم أكمل ملاحظاتي إلا في فجر اليوم التالي.

وبينما كنت أقوم بإرجاع جهاز المزواة -أداة لقياس الزوايا في المسوحات- إلى مكانه لحفظه وصل وفد متوقع من آل ضباب من ناحية وادي جردان يبلغ عدده ٦٠ رجلاً. وكنت أرتجف عند رؤيتي لأشكال هؤلاء القادمين في الهزيع الأخير من الليل وهم عراة إلى الخاصرة كان عبدالله الهمامي من جهة أخرى يرتدي معطفاً من جلد الغنم، الأول من نوعه الذي رأيته في هذه المناطق. وكان المرء يتوقع أن تكون هذه عادة منتشرة في بلد مليء بالأغنام. وبعد استقبال الوفد تركت صالح بن حزيق يتسمر مع الزوار ودلفت إلى مضجعي لآخذ قسطاً من الراحة ولكن لم أذق طعم النوم قط.

ويشكل خط وادي أنصاب الحد الغربي لحدود قبيلة الكرب. وخلف هذه المنطقة تعيش عشيرة همام وهي أحد فروع قبيلة العوالق والتي لا تعترف بنفوذ سلطان العوالق في أنصاب. وتجدر الإشارة هنا أن هذا الاسم الأخير يظهر خطأ في خرائطنا باسم نُصاب (Nisab) بينما نجد أن ميداك (Midak) مركز سلطنة العوالق العليا يجب أن تنطق أم عتق. وتشمل مناطق نفوذ عشيرة همام المستقلة المناطق السفلى من

وادي همام ووادي مرخة. وبين منطقتي الكرب و همـام يعيش أهالي قرية عياذ وقرية صعـدة التي تبعد عنهـا بأميال قليلة عند أعلى الـنهر حياة شـبه رعوية، حـيث كانوا يجوبون جانبي واديهم مع أغنامـهم وضأنهم. ومثلما عليه الحال بالنسـبة إلى المشايخ في شبوة، فإنهم ينتسبون إلى عشيرة القراميش من بني جبر. وهم مهاجرون إلى هذه المنطقة من اليمن، من منطقة مأرب ولكن لا توجد لديهم فكرة عن كيف ولماذا ومتى كانت هجرة قبيلتهم؟. ويقولون: إن عياذاً نفسـها غير قديمة كما هوحال حيد ولكنهم عاشوا في المنطقة لوقت طويل نسبياً خاصة وهم يملكون مناجم الملح في مرتفع حيد عيـاذ القريب. ورئيس المجـموعة شـخص وجيـه يدعى محسنًا له وجـه ماكـر مثل الثعلب.

وفي صبيحة اليوم التالي عاود زيارتنا شيخ القبيلة محسن مع ابن عمه ووجه لنا دعوة لزيارة القـرية. وتتكون مباني هذه القـرية من الطين المتماسـك، وتقع في منطقة مرتـعة فوق الجرف الصخري المنخفض على الجانب الأيسر للوادي باتجاه الشمال. وفي منطقة منفصلة عن القـرية باتجاه الغرب، يوجد برج جيـد البناء مربع الشكل. وللقرية ثلاث آبار عمق كل منها ٢٠ قامة (١٢٠ قدم لكل واحدة). وإحدى هذه الآبار خارج القرية ذات إمداد مياه موسمي والأخريان تنضبان عند حلول فصل الجفاف.

زرنا في البداية البئر الرئيسة حيث وجدنا الفتيات يعملن في أخذ المياه ثم مررنا على القرية عـبر شوارع متعـرجة. وقد طلبت زيارة البرج الرئيس المجـاور لمنزل متين البنيان مكون من طابقين. وعلمت أنه يتبع لزعيم القـرية الثالثة المشاكس والذي ما إن طرق محسن باب منزله حـتى جاء للتو لاستقـبالي ويبدو من قسمات وجـهه أنه كان غير راض أن يسـمح لنا بزيارة البرج. وفي تقديري أنه كان يطـمع في الحصول على مردود مادي نظيـر ذلك. وقلت لمحسن: إن المنزل المشرف على البئر كـافٍ ليسمح لنا برؤية البـرج عن قرب. ولم تؤرقني زيارة هذا المنزل لرؤية البـرج لاسيـما وأن هناك رجـلاً مـدججين بالسلاح ينتـشرون على سطح المنزل وعلى اسـتعداد تام لمقـاومة أي

شخص يدخل المنزل؛ لذا فقد صرفنا النظر عن زيارة هذا المنزل. وحالما وصلنا باب المنزل المجاور حتى استقبلنا صاحبه بالترحاب. ودخلنا المنزل وصعدنا بواسطة الدرج المبني من الآجر الطيني الذي يقود إلى الطابق الثاني. ومن هناك تسلقنا درجات سلم خشبي آخر يقود إلى السطح. وسرعان ما امتلأ المكان بالزوار القرويين وكانوا طيبين ومستعدين لتقديم أية معلومات أطلبها.

وفي السطح تمتعت بمنظر رائع. وأمضيت الوقت في التعرف على كل مظاهر هذا الريف الواسع. وبإلقاء نظرة خلفية على المكان الذي أتينا منه، أستطيع رؤية مرتفعات غالب وجبل علقة والغبر في مقدمة وادي أنصاب. وباتجاه الجنوب هناك هضاب فخذ المنعزلة تبدو ماثلة للعيان من القمرة بينما تظهر مرتفعات نوخان التي تمثل بداية حدود منطقة قبيلة الحاضنة. وبين موضعنا الحالي والمرتفعات الأخيرة يتناثر العديد من التلال البركانية وهي غير مرتفعة كثيراً وتسمى القرون السود، وتعد حدود قبيلة القراميش[1] في ذلك الجانب. وفي جهة الغرب وإلى الجنوب قليلاً تقع روابي كُبر والظهير. وهذه المرتفعات تفصل بين وادي همام عن منطقة سلطان العوالق وتطل على العاصمة أنصاب على بعد ميل منها. وعلى الجنوب الغربي يقف صخر حجر حيث ينحدر وادي مرخة من الجبال ويختفي في الرمال في الشمال الغربي من عياذ بالقرب من مرتفع يستار والأخير متنازع عليه بين الكرب وهمام. وفي أقصى العرب نلحظ الجرف الصخري لعطفان الذي يقود إلى بيحان والذي تسكنه عشيرة أهل شلاميش، فرع قبيلة النسبين الصعبة المراس، وباتجاه الشمال الغربي تقع مناجم عياذ الملحية (حيد الملح) على مسافة أميال قلائل. وعلاوة على الحصنين اللذين ذكر آنفا وقع ناظري على حصنين آخرين، أحدهما حصن ظبي، الذي يقع عند قمة تلال منخفضة في وادي الشولة على بعد نصف ميل من مكاننا الحالي. أما حصن عصيفير

(١) القراميش: من قبائل بني جبر في خولان العالية. الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، ج٢، ص٦٤٨. (المراجعون).

فيقع إلى الجنوب الشرقي على بعد ميل واحد. وهناك أيضاً حصن المناقل (لابن حيدان) ويقع إلى جهة الغرب الشمال الغربي من هضبة (إرنام). وتشكل هذه الحصون دروعاً واقية للقرية ومزارعها من أي اعتداء عليها. وإذا ما جلنا ببصرنا باتجاه الشرق والجنوب الشرقي فيكتمل المنظر برؤية قرية صعدة على الجانب الأيسر من (وادي جردان). وهناك حصن البويردة الحديث ويقع في منتصف أطلال قديمة إلى الأمام. وترى صخور حيد - الضواحي المنعزلة والتي تقع عند منتصف القناة عند خروجنا من الجرف الصخري مباشرة. وعند أسفلها مباشرة توجد المستنقعات المعروفة باسم الكراف، والتي نجمت عن ركود مياه السيول. وأمام هذه المنطقة -كما قيل لي- موقعا حجر وبنا الأثريان ولكن تتعذر رؤيتهما من هذا المكان.

وبعد أن فرغت من هذا المسح، قررت أن أزور مناجم الملح بمفردي وأن أترك بقية المرافقين وسيارة النقل والجمال في المعسكر. وتفادياً لأية متاعب قد تقابلني اخترت أن يصطحبني كل من سائق السيارة وعبدالله الهمامي ومحسن وصالح بن حزيق، ولكن هذا الاختيار أفضى إلى هياج وسط المجموعة حيث أعلن كل من ابن عم محسن وزعيم الفرع الثالث لقبيلته أن لهم الحق في مرافقتي إلى مناجم الملح لاسيما وأنهم أيضاً -على حد زعمه- شركاء في ملكيتها. وباءت كل محاولاتي بإقناعهم بعدم وجود مكان يتسع لهم في السيارة بالفشل. وفي نهاية الأمر رضخت لمطليهم وانضم الاثنان إلى المجموعة رغم ضيق الحيز في السيارة وانطلقنا لا نلوي على شيء سوى مناجم الملح.

وتحركنا عبر مناطق تتخللها سدود مائية، ودخلنا سهلاً قاحلاً توجد عند نهايته روابي وحيد الملح التي تبعد حوالي خمسة أميال من القرية. ومن هناك واصلنا السير عبر واد ضيق متعرج مؤد إلى قلب الجبال. وعند نهاية هذا الممر تركنا السيارة ومشينا بأرجلنا نحو خمس دقائق عبر أراض صخرية إلى موقع المنجم. واعتلى محسن صخرة على ارتفاع مئة قدم ليرى ما إذا كان الشاطئ ظاهراً . وذكر أنهم دائماً يحتلون

هذه النقطة المهمة كحماية لهم من البدو الذين يهاجمونهم أحياناً. وعند إشارته لنا تبعناه لنأخذ نظرة شاملة من أعلى حيث رأينا قمتي النسر خلف شبوة في جهة وهضبة عطفان من الجهة الثانية. وبعيداً عنا في الرمال رأينا يستار والقرنين للشمال وقمة ثلوّت من وراء عقلة. وكان عند موطئ أقدامنا حفرة يستخرج منها الملح كما وجدنا بعض الأكياس المملوءة بالملح مبعثرة عند طرف هذه الحفرة. وتعد هذه النقطة التي اعتليناها الجزء الأعلى من الهضبة ولها ثلاث أو أربع قمم. وتظهر طبقات الهضبة أرضية متموجة لكنها أقل وعورة مقارنة بنظائرها في شبوة المقعة.

والمنجم الذي وصلنا إليه يقع في طبقات صخرية صلبة وعميقة ذات لون يميل إلى الرمادي. وتحتها مباشرة بعمق ٥٠ قدماً إلى شمال المدخل، وبحوالي ٣٠ متراً إلى اليمين، ما يزال العمل مستمراً. بينما يلاحظ أن الواجهة المقابلة للحفرة قد تم حفرها إلى أعماق بعيدة. وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدداً من العبيد يعملون هنا. وعندما أدرك أحد هؤلاء أننا غرباء هَمَّ بتناول بندقيته لمهاجمتنا ولكنه سرعان ما عدل عن هذه الفكرة عندما تيقن أننا لسنا أعداء ومن ثم استمر في مواصلة عمله. وعند وصولنا إلى الحفرة التي كان يعمل فيها هذا الزنجي طلبت منه أن يحفر لي كتلة من الملح وأعطيته ريالاً. والشيء نفسه فعلته مع رفقائه الأربعة. ثمة إشارة هنا وهي أن "المجبة" أو الرسوم التي يأخذها أهالي حصن الجويبة من تجار الملح تصل إلى ريال واحد نظير حمولة ثلاثة جمال بالإضافة إلى دفع ما يسمونه "مرسة" وهي دفع مبلغ ربع ريال على كل جمل محمّل بالملح. عدنا للسيارة وسرنا عبر التلال في الجانب الآخر. حيث دخلنا سهلاً رملياً كبيراً حتى وصلنا حقول عياذ.

وقبل الذهاب إلى المناجم كنت قد تفاوضت مع وفد جردان وكان من ضمنه حمد بن عبدالله الذي قابلته في شبوة. وكان الأخير قد أوفد كل فروع عشيرة أهل جردان وآل الفشر. وكان موضوع الرحلة إلى الأطلال في الوادي جذاباً كما أن ممثلي عشائر وادي جردان كانوا قد قدموا لي دعوة لقضاء ليلة في ديارهم. ووافقت على

الزيارة وأخطرتهم بأنني سأزور في البدء القرية ومن ثم مناجم الملح وبعد ذلك سأكون في إمرتهم. وعندما رجعت من القرية جاءني الأهالي ورفقاء حمد قائلين: «مرحباً بك في وادينا حيث توجد الآثار المدهشة لقدامى الكفار، ونحن نخاف من أنك ربما تفضل حمد على حسابنا وتلحق الضرر بنا؛ لذلك يجب أن تدفع لنا من المال كما تدفع له تماماً. وإذا فعلت ذلك فبالتأكيد ستجد عندنا كل ترحاب». وكان الرد عندي «سوف لن أدخل معكم في أي شروط وتعهدات. وفيما يخص الهبة التي ساعطيكم إياها فهي مسألة أقررها بنفسي ولا شأن لكم بنوعيتها، ولقد حضرت هنا عابر سبيل، ووقتي غال لأجل الإيفاء بوعدي لحمد بزيارة شبوة. ولقد أخطرته بأنني لن أزور الوادي إلا إذا كانت هناك موافقة جماعية على ذلك بين كافة فروع القبيلة؛ لذا فقد قدم إلى عياذ لمرافقتي. وأنا لم أعتد أن أساوم بالكرم مع العرب. ولن أساومكم أو أتبع السلوك في التعامل نفسه مع غيركم. ووقتي قيّم للغاية. ويجب أن أرجع إلى منطقة استخراج الملح بعد ساعة واحدة. وإذا أردتم أن أرافقكم فلن أفعل ذلك، فليذهب اثنان منكم مع الجمال في المقدمة ويتأخر أحدكم ليرافق السيارة». وعند رجوعي إلى المخيم لم أر شيئاً يوحي بأن رفقاء قبيلة جردان قد حزموا أمرهم. وقلت لهم بالحرف: «حسناً، طالما أنكم لا تزالون في هذا اللجاج، فلن أتدخل وأكون سبباً في هذا الانشقاق، ويمكن أن نفترق بسلام، وأنا حر في أن أعد حمد بأي هبة. كما أنني حر في أن أستمر في سيري قاصداً مرخة. والآن بدأتم في حزم الأمتعة، فإذا كانت وجهتكم وادي جردان أو حتى وادي مرخة، فالأمر عندي سيان، إنما الأهم هو أن الزمن أثمن من إهداره هكذا. وقد أخطرت مجموعتنا في شبوة بأننا سنحضر بعد أسبوع والآن نحن في اليوم الثالث!». وقد قمت بدفع المستحقات للمرافقين.

وكان رجال جردان ما يزالون في خلافهم المستعر. فطلبت من صالح أن يركب السيرة. وأدرت على الفور الماكينة وودعت محسنًا قائلاً: «في رعاية الله» ورد علي بعبارة: «فليحفظك الله آمناً». وبدأت السيارة التي تقلنا تتحرك، لكن حدث أن تعطلت

سيارة النقل (البيك أب) التي تقلنا فجأة. وقدت سيارتي إلى مسافة ميل وبعدها تحركت خلفنا سيارة البيك أب. ولقد كنت سعيداً لمفارقتي هؤلاء من عشيرة القراميش.

الشيء الوحيد الذي ندمت عليه هو عدم زيارتي أطلال وادي جردان، وعلى الرغم من كل سلوكهم السيئ وجشعهم، فإن آل الفشر استرعوا انتباهي كأحد أهم العناصر الجذابة في جنوب الجزيرة العربية. وهم في حقيقة الأمر إحدى المجموعات الثلاث الباقية من قبيلة بني هلال القديمة والأخريان هما أهل خليفة في الحاسنة والنسبين وعشيرة آل الفشر في منطقة جردان والتي تتكون من خمسة بطون هي آل ضباب ولهم الزعامة، فشيخهم هو صالح العقيل عم حمد بن عبدالله، وأهل حسن، وأهل عطيف، وأهل ساري، وأهل الخضراء. وفي أعلى الوادي يوجد بطن آخر هو أهل المقبّر، ولكنه لا ينتمي إلى بني هلال -وهم من السادة الذين -دون شك- قد قطنوا هذا الموضع وباتوا الزعماء الدينيين للقبيلة-.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لبني هلال سمعة أسطورية وهي أنهم أجمل الناس في الجزيرة العربية وكل المباني القديمة التي لا تعرف أصولها تنسب إلى هؤلاء الأقوام. وفي الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية فإن الأساطير التي تنسج حولهم هي الموضة الشائعة بالرغم من مزاعم التفوق للعدنيين والسبئيين والحميريين وغيرهم. وأبو زيد الهلالي بطلهم الشعبي هو الاسم الشائع الذي تردده كل الألسنة في تلك الأجزاء من الجزيرة العربية في حين أن أسماء مثل ملكة سبأ والشخصيات التاريخية العظيمة الأخرى ليست إلا مجرد ذكريات عفا عليها الزمن. ومن هم بنو هلال؟. لا نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال. ولكن إذا كان أحفادهم هم الموجودون الآن في هذه المناطق من الجزيرة العربية، فليس بوسعي أن أجد في أي منهم أي علامات فيزيقية أو لغوية أكثر من كونها سامية.

وحتى الآن فإنني الأوروبي الوحيد الذي زار عياذاً فكل من هلفريتز وريكاردز لم يزوراها وإنما مرا بها من منطقة قريبة فقط. أما الباحث وايمان بري فقد ذكر بصورة

عابرة في كتابه «أرض أُز- Land of Uz» إنه زار عياذاً مرة واحدة. وأوضح أنه قام باستطلاع سريع وأرسل أحد الأعراب ليحضر له -خلسة- بعض النقوش ولكنه -أي وايمان- نسي أن يقول لنا ما هو مصير هذا الرسول. والمعلومات التي يضمنها هذا الكتاب والخارطة المرافقة لا تؤيدان هذا الزعم. ومثال لذلك: أن شبوة -كما ذكر في الكتاب- لا يمكن أن تُرى من أي نقطة جنوب العُقلة. ولو كان بري وصل إلى ذلك المكان لكان قد وجد النقوش التي عثرت عليها. فضلاً عن ذلك فإنه من غير المقبول أن لا تحتوي خارطته على موضع الحاضنة إذا كان فعلاً قد مر بها في طريقه إلى عيذ. وقد أكد لي أهالي عياذ أنهم لا يعرفون شخص (بري) بهذا الاسم قد زار بلدتهم. هذا على الرغم من أن «عبدالله منصور» الاسم الإسلامي لبيري معروف في هذه الأصقاع في السنوات الأولى من هذا القرن وما زال يذكر بعد ثلاثين سنة من ذلك التاريخ. وعلى أية حال وإلى أن تظهر أدلة أخرى أكثر إقناعاً فإن ادعاء بري زيارة عياذ لا يمكن الوثوق به.

تحركنا تاركين الجانب الأيسر من أماكن استخراج الملح إلى أن وصلنا سهلاً فسيحاً. وأثناء سيرنا رأينا أحد طيور الحبارى وما إن اقتربنا منه حتى أسلم جناحيه للريح هاربا ولم نفلح في اصطياده إلا بعد مطاردة قصيرة. وبعد مسير ثمانية أميال باتجاه الجنوب الشرقي في مرتفعات العلم، توقفنا لنتناول وجبة الغداء تحت ظل بعض الصخور. ويلاحظ أن هناك هضبتين تقعان على محور جنوب شرق - شمال غرب بوضع متواز تقريباً، والمحور الأكثر ميلاً باتجاه الجنوب والذي توقفنا عند طرفه يتكون من صخور رملية متحولة ذات لون أرجواني في حين أن الآخر تتشكل طبقاته السفلية من الصخور نفسها وتعلوها طبقات جيرية ترجع إلى عصر الأيوسين. وهنا واد رملي ضحل وواسع يفصلنا عن مجموعة كتل صغيرة من الحجر الرملي تسمى إرنام. ويظير في الأفق البعيد عند أقصى الوادي ما يشبه طابور النمل، إنه قافلة تتكون من ٣٠-٤٠ جملاً وهي تسير بتمهل في اتجاه قرية عياذ. وفي ذات الوقت، فإن قافلتنا تزحف ببطء في الاتجاه المعاكس.

وعند التقاء القافلتين، جاءنا وفد من ثلاثة رجال وذهب عبدالله الهمامي لاستقبالهم. أما أنا فقد أخذت أمتعتي الشخصية لإصلاحها عند ظل مأوى صخري وفي أثناء ذلك دعست على أحد أقيم غليوناتي فكسرته. واتضح بعد ذلك أن الرجال الذين ذهب عبدالله لاستقبالهم من عشيرته. وكانوا قادمين من وادي مرخة وفي طريقهم إلى وادي جردان. وعند مقابلتهم قالوا لي: «اتجهنا لنرى الدولة عندما رأينا العربات واقفة في المعسكر وقلنا لأنفسنا: الدولة ربما تعطينا «فاش». وهذ الكلمة تعني إذن أو جواز مرور عابر سبيل. وبالتالي يقصدون هبة مالية ولكن إمكانياتي محدودة وهي من أجل الصرف على مرافقيّ والآخرين ممن أنتفع بخدمتهم طوال الرحلة.

وبعد قضاء وقت القيلولة تحركنا الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والأربعين بعد الظهر وسرنا حوالي ثلاثة أرباع الساعة في سهل رملي واسع يكسوه الحصى يسمى سهل الحراج. وهو في الواقع دلتا وادي همام وفي طريقنا أخذنا معنا خدم حمد القردعي وكانوا قافلين إلى وادي مرخة وهم في حبور وسرور لقضاء الليلة معنا في المعسكر. واخترنا شجرة ضخمة ظليلة من نوع السرح، تسمى محلياً باسم المكتمة لأخذ قسط من الراحة بجانبها. وكان معنا في المعسكر ثلاثة من النسبين انضموا إلى مجموعة الإبل بعد أن وفروا دوابهم وتركوا لي تقدير الأجر فيما بعد، وهكذا فقد كانت المجموعة كبيرة عند العشاء حيث قمت بتسليتهم باستعمالي للمذياع الذي أثار انتباههم. وقد أخبروني بمناجم الملح في عياذ في مؤخرة وادي بيحان ومنجم صغير في وادي أبراد الذي يتبع لعبيدة مأرب وهم عشيرة من قحطان. وهو بالتالي المنجم الوحيد في سبأ الذي لم أزره. وفي البعيد -جنوباً- ترتفع سلسلة جبال كور وخلفها أنصاب بالإضافة إلى أور "urr" والقمم الأخرى التي تطل على البحر. وفي الوراء بعيداً توجد بيحان حيث مرتفع السليمة الذي يكون الضفة اليمنى لواديها.

وكانت درجة الحرارة في صبيحة اليوم التالي (٢٦ سبتمبر) منخفضة تصل إلى ٥٨° في بداية اليوم . وغادر جابر بن مدعر ومعه مجموعة بالجمال بعد تناول الإفطار

مبشرة إلى مقصدنا وهو مخيم النسبين همام في قرن الفقية في وادي مرخة. وكانت صخرة الجرانيت البارزة لـ حجر يحرر، هي التي توضح الموضع الرئيس للمخيم. وراودني شعور بأن من المؤسف أن نمر بالقرب من الحاضنة دون أن نعرف شيئاً عن المستوطنة؛ لذلك فقد قررت الذهاب إليها. فتحركنا حوالي الساعة التاسعة قبل الظهر باتجاه جنوب - شرق عبر أرض سهلية. وتوقفنا بعد بضعة أميال لقضاء بعض الوقت مع أعرابي كان راكباً ناقته ويسير وحيداً في هذه الصحراء. وبعد مسيرة تسعة أميال من نقطة انطلاقنا تغيرت طبيعة الأرض من حصوية إلى رملية. وفي الطريق قام رجال القافلة بمطاردة بعض الغزلان من إدمي. أما أنا فقد ركزت جهدي باتجاه صيد أحد الوعول. ولم أتمكن من الظفر به إلا بعد مطاردة مسافة أربعة أميال. وبعد فترة قصيرة وجدنا أنفسنا نسير في مفترق طرق عبارة عن خط تقسيم لنوعين من التضاريس: أحدهما عبارة عن سهل رملي على الجانب الأيسر والآخر هو الأكثر اتساعاً يتكون من رسوبيات وغبار بركاني. وبعد مسيرة ميل آخر وصلنا أسفل جبل الكرش الذي يبعد بما يزيد على عشرين ميلاً من المخيم الذي تحركنا منه في بداية الرحلة.

ومن الخارج يبدو جبل الكرش منخفضاً حيث يتراوح ارتفاعه بين ٢٠٠-٢٥٠ قدماً. وفي الجانب الشمالي الذي صعدنا عن طريقه إلى القمة نجد شقاً متسعاً تملؤه اللابة (الحمم) وتكثر فيه الكتل والطفوح البركانية. أما القمة فهي ذات شكل بيضوي ومحاطة بجدران شديدة الانحدار يصل ارتفاعها إلى ٢٠٠ قدم في المتوسط مع وجود أقسام أكثر ارتفاعاً عند الأركان. وحفرة البركان تظهر وكأنها بحيرة ذات لون رملي مصفر مخلوط بغبار البركان. وثمة ملاحظة هنا وهي أن المنظر العام للابة (الحمم) وشكل الجدران السليمة للفوهة يوحيان بأن عمر النشاط البركاني حديث نسبياً. وأخذت بعض عينات من ذلك البركان لفحصه بواسطة خبراء المتحف البريطاني. وعلى مقربة من هذا المكان وباتجاه الشمال الشرقي توجد هضبة ثماد البركانية. وفي

اتجاه الجنوب الشرقي تقع السوداء وهي فوهة بركانية على هيئة رابية. وباتجاه الجنوب الغربي تقع فوهة جنداب في حين تقع كل من خرشفة وموروا وهما رابيتان بركانيتان في اتجاه الغرب والشمال الغربي. وهذه السلسلة من الفوهات البركانية والتي تتوسطها فوهة كرش تقع في دلتا الحاضنة المحاطة بجروف جيرية من جهة الشرق ومرتفعات الباخدم وفخض من جهة الشمال.

وفي الجهة المقابلة لهذه المجموعة البركانية توجد سلسلة من المرتفعات البازلتية تبدأ من جبل القليعة الهرمي الشكل عند بداية الوادي وتتجه ناحية الجنوب الشرقي حيث تشمل ضنيحة، وكبار الفهير وتستمر باتجاه حجر - يحرر ومرتفعات مرخة التي تقع باتجاه الشمال الغربي. وخلف وادي مرخة تبدأ الجروف الجيرية مرة أخرى بدءاً من مرتفعات عفطان. ويبدو أن التحركات الأرضية القديمة قد قسمت المرتفعات الجيرية إلى قسمين وتركت عند الفجوة الفاصلة بينهما رابيتين كونتا مع الجرفين على الجانبين ثلاثة أودية هي: الحاضنة وهمام ومرخة. وفي أقصى جهة الجنوب بعيداً عن هذه المرتفعات البركانية تمتد سلسلة جبال كور التي تبلغ أعلى قمة لها عند أور، وعند أسفل هذه الجبال تقع مستوطنات حبان ويشبم وأنصاب.

وبعد أن سجلنا بعض الملاحظات عن المظاهر الطبيعية والتضاريس التي سجلتها الطبيعة في أحسن صورها أعدد الآن ما فعله الإنسان. والخط من كرش إلى القعيمة يمثل الحدود بين همام وأهل خليفة. فمن القعمية باتجاه الغرب يمتد وادي وطاح ويشكل مع مرتفعات كُبار - الفهير التي تمثل الحدود بين همام وسلطنة العلاقي العليا. ويعد مجرى وادي وطاح الذي يصل خلف السودة والجنداب فرع وادي همم. والوادي الأخير يبدأ خروجه من المنطقة الجبلية بين كُبار والظهير. وهناك قبيلة أهل خليفة، أو أهل الحاضنة كما تسمي نفسها أحياناً، وهي كما ذكرنا فرع من بني هلال. وهذه القبيلة مستقلة النفوذ ولا تعترف بأي سلطة عليها سواء من قبيلة يشبم أو قبيلة أنصاب. وفي فترة لاحقة أقامت أحد عشائر هذه القبيلة (بني هلال) والمعروفة باسم

آل مهدي علاقات سياسية مع السلطات البريطانية في عدن وأسبغت عليها الأخيرة الحماية وكانت تتلقى منها الهبات.

وتقع قرى هذه العشيرة أسفل وادي الحاضنة. وترتيب هذه القرى ابتداء من أسفل الوادي إلى أعلاه يشمل: الشبيكة التي تغطيها أعداد كبيرة من أشجار العلب، وهناك ثماد ونوخان. والأخيرة تقع قبالة الجرف الصخري. أما عدة القفل فتقع في وسط الوادي على بعد ميلين شرق كرش، وخلفها تقع قرى لخرم والصحفة باتجاه الجرف الصخري. وقرية باكبيرة تقع إلى الجنوب الشرقي من كرش يوجد بها العديد من الأكواخ والحصون. ويوجد حصنان في كل من الشبيكة -إلى الجنوب الشرقي- أسفل الجرف فضلاً عن أربعة حصون أخرى تشكل قرية الكريبية التي تقع إلى الجنوب قليلاً لكنها تتوسط الوادي وتوجد فيها قلعة جشم في الجهة اليمنى منها. أما السوق أو قرية الجابية فتقع على مسافة خمسة أميال من كرش على الجانب الأقرب من قمة مرتفعات القليعة. وتقع عتق على بعد نصف ميل إلى أسفلها، ولكنها لا ترى من كرش، القرى الصغيرة الخمسة وهي من خمر والقارة -على جانبي المرتفع- والعطف وباسودان وهات.

ويجدر التنويه إلى أن القرى الستة عشرة المذكورة أعلاه تشكل مجمل المستوطنات في وادي الحاضنة، ومن ناحية أخرى فإن القرى الواقعة إلى أقصى جهتي الشمال والجنوب من هذه المستوطنات هي الشبيكة وهي تحت مشيخة طالب بن علي والقارة تحت إدارة ابن عمه أحمد بن علي وهما ينحدران من عشيرة أهل مهدي. وهذه القرى تقع تحت النفوذ والحماية البريطانية في حين أن بقية القرى مستقلة. وتتبع قرية الجابية إلى أهل سوا، الذين يدعون تميزاً خاصاً عن بقية العشائر لاسيما وأن السوق المحلي في المنطقة يقع تحت نفوذهم. ومن جهة أخرى، فإن أهل قفيش لهم السيادة على حصون باكبيرة الكريبية وجشم وأهل عبود تتبع لهم قرى لخرم والصحيفة، بينما تتبع قرية الشبيكة إلى أهل حمير وخمر إلى أهل الكاظمي، وقرى

هات وبا سودان لأهل منصور. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مجموع الرجال البالغين لا يزيد على ٣٠٠ رجل في حين أن مجموع السكان في كل هذه القرى يصل إلى حوالي ١٠٠٠ شخص بمن فيهم النساء والأطفال.

شيدنا مخيماً عند أسفل الجبل على مقربة من شجيرات الأكاسيا الشوكية. ومما يدعو للحبور الحصول على ظل بغية الاستجمام والراحة بعد عناء ساعتين من السير المتواصل في نهار قائظ. وأمضينا القيلولة إلى أن انخفضت درجة الحرارة قليلاً قبل أن نواصل المسيرة. ولاحظت وجود معسكر لبدو يتكون من عشر خيام على مسافة نصف ميل. ولم يعر مرورنا على مقربة منهم أي اهتمام. ويبدو أن هذه المستوطنة خالية من السكان. ومما يدل على ذلك أن العربي عادة يجلس في بيته وقت القيلولة ما لم يكن هناك سببٌ ملحٌ يدعوه للخروج منه.

ومن كرش واصلنا المسير الساعة الثانية بعد الظهر باتجاه الشمال الغربي ومررنا في الطريق بمجموعة من الطفوح البركانية المنعزلة تسمى أخاسيف. ويبدو وراء هذا المنظر مساحات واسعة من السدود المائية تتخللها أشجار العلب المسمى جريبة وهذه المناطق الزراعية تدخل في حوزة عشيرة همام التي تملك أيضاً مزارع دخن في واديها وعلى أية حال لا تملك هذه القبيلة أي قرى أو مبان ثابتة في منطقتهم لأن الغالبية العظمى من أفرادها تمتهن حرفة الرعي. ويعد أهل قربان أكبر عشيرة في بلدة كرش التي تتكون من عدة أفرع هي شملان وهي تحت رئاسة صالح بن عبدالله والد مرشد قافلتنا. وهناك أيضاً آل حسين وآل طالب وآل ذياب أما بقية العشائر المكونة للقبيلة فهم آل مسفر وآل حوال وآل مفجور وآل طهيف وآل عنين وأهل هجاري.

وفي المنطقة المجاورة لجريبة توقفنا للحديث مع رجلين من عشيرة النسيين في طريقهم من الحاضنة إلى حجر - يحرر. وأناخ الرجلان جمالهم على مسافة قريبة ووصلا إلينا سيراً على الأقدام. وعلى مقربة منا أطلق الرجل الأول من بندقيته طلقة في الهواء. وعلمت أن إطلاق هذه الطلقة في عرف هذه القبيلة يعني أن الشخص

القادم الذي يحمل بندقية قد أفرغ شحنتها وأن خزانة الرصاص خاوية. وسألني الرجلان: «هل يمكن أن يخترق الرصاص سيارتنا؟». فقلت لهم: «نعم يمكن ذلك إذا كانت السيارة قريبة، أما إذا كانت بعيدة فالله وحده يعلم ماذا سيحدث». وأخطرنا الرجلان أن قبيلتهم (النسين) منقسمة على نفسها إزاء زيارتنا. فالغالبية العظمى ترحب بنا، في حين أن القلة ترى أن زيارتنا لا جدوى منها وأن من الخير أن تبقى قبيلتهم في منأى عن أي علاقات ذات تداعيات سياسية.

وفي مسيرنا عبرنا بعض السدود المائية لوادي همام حيث تنتشر شجيرات الصمغ. وعلى يسارنا تنتشر الروابي البركانية ومن أبرزها مرتفع خرشيفة. وأكد لي عبد الله أن بمقدورنا عبور هذا المرتفع عن طريق نفق منخفض. ولكن وجدنا أن الرمال التي تؤدي إلى ذلك النفق ناعمة للغاية وشكلت عائقاً لسيارتنا. وأضعنا وقتاً طويلاً ونحن نحاول اجتياز الرمال دون جدوى. وقررنا في نهاية المطاف أن ندور حول المرتفع فقابلتنا امرأة قادمة من وادي مرخة أصيبت بالذعر عند رؤيتنا وولت هاربة رغم محاولات عبدالله طمأنتها. ومن ثم مررنا بمنطقة تعد الحد الفاصل بين قبيلتي همام والنسبين. وعلى الجانب الأيسر -وعلى مسافة ليست كبيرة- نلمح قناة مرخة وهي تنتهي إلى سهل منخفض حيث تلوح في الأفق البعيد حجر - يحرر على بعد ٣ أميال. وعند الساعة الرابعة والنصف وصلنا إلى مخيمات همام - النسبين في الوادي خلف رابية قرن الفقيه المنخفضة الارتفاع. حيث نصب مضيفنا خيمة لوفد المقدمة الذين وصلوا قبل الظهر.

وأثناء تقدمنا للأمام اصطف بعض البدو وأطلق ثلاثة منهم عدة طلقات نارية في الهوا- وقاموا بتحيتنا ورددنا لهم التحية بالمثل ومن ثم دخلنا خيمة الضيافة التي رفعت أورقتها للتهوية. وكان العدد الذي يقبع بداخل الخيمة كبيراً ومثيراً للدهشة. وكان مضيفنا هو عبدالله والد صالح بن عبدالله وهو رجل كبير السن بيد أنه بصحة جيّدة. ولم يمض سوى وقت قصير على جلوسنا حتى استدعيت إلى خارج الخيمة لاستقبال

وفد عشيرة شملان وهي فرع قبيلة النسبين التي تقطن وادي همام. وهم من الذين اصطفوا لاستقبالنا. وفي البدء لم تكن هناك مواضيع مشتركة لتجاذب أطراف الحديث مع أفراد هذه العشائر أكثر من ترداد التحايا خاصة من نجران إلى الأجزاء الجنوبية وجرت العادة عندما يلتقي أي فرد بمجموعة من الناس أن يحيي كل واحد منهم باسمه ويقول له على سبيل المثال: «كيف حالك يا صالح؟ الله يعطيك النجاة، فليحفظك الله، كيف حالك يا علي؟ الله يعطيك من فضله، الله يعطيك العافية، الله يقويك... إلخ هذه العبارات». وأثناء ذلك كانت تقدم القهوة العربية للحضور. تبدأ جلسات الأنس في شكل همس خافت ومن ثم تعلو الأصوات رويداً رويداً. وجلست بجوار العجوز صالح. وكان أفراد قبيلة النسبين يجلسون عند الركن المقابل في المجلس على جانبي شيخهم صالح بن هادي من عشيرة الشلاميش. والأخير رجل قوي البنية عدائي وصعب المراس، ذو لحية رمادية اللون ويبدو كما لو أنه أكثر ميلاً للخصام منه إلى الأحاديث الودية.

وفي إجابة عن سؤال للشيخ صالح عن سبب تأخرنا في الوصول، أوضحت له أن ذلك كان بسبب مطاردتنا لبعض الغزلان، حيث تمكنا من اصطياد ثلاثة منها. وسألني صالح باندفاع: «هل هذه غزلان همامي أم غزلان النسبين؟». فأجبته قائلاً: «أعتقد أنها غزلان قبيلة همام». فسألني ثانية: «كيف عرفت ذلك؟ هل رأيت عليها وسم همام؟». فأجبته: «لا، ولكن أطلقت عليها النار في منطقة همام بين الجرية والحاضنة». فرد علي ويبدو عليه شيء من القناعة قائلاً: «حسناً، ربما كانوا تابعين لمنطقة همام وإلا فقد تكون ارتكبت خطيئة بإراقة دماء النسبين». وواصل حديثه قائلاً: «لماذا حضرت أنت هنا؟ هل لمصلحة تبتغيها لنفسك أم لمصلحة لنا؟». فقلت له: «جئت إلى هنا تلبية لدعوة تلقيتها من قبيلة همام وعشيرة الجردان (فرع عشيرة النسبين). ولقد كان الهدف من المجيء هو إشاعة الحبور والسرور في نفوس هؤلاء الذين قدموا لي الدعوة. ولكن ليس لدي زمن أضيعه هدراً ولا رغبة لي في زيارة

أحد بدون دعوة. وأريد أن أرجع إلى نجران إلى ابن سعود». وقال لي صالح: «عند مجيئك هنا هل تمثل وتتحدث باسم ابن سعود؟». وأجبته قائلاً: «لكن بدون نفوذ ابن سعود لن أستطيع أن أتنقل في هذه البقعة كما فعلت الآن، فاسم ابن سعود جواز سفر آمن لأي شخص في الجزيرة العربية، انظر إلى نجران، كانت قبائلها في الماضي مجرد قطاع طرق لكنها الآن أكثر الناس طاعة في رعية ابن سعود. وقال ابن سعود لأهل نجران إنه لا يرغب في شيء منهم. وهو -أي ابن سعود- مسؤول عن بسط الأمن والطمأنينة والسلام ومنع ارتكاب الجرائم. إذا ترك هؤلاء أساليبهم القديمة، لكن الويل لمن ينتهك الحرمات ويرتكب الخطايا التي تلحق الضرر بالآخرين، ففي هذه الحالة فإن ابن سعود لن يتهاون في تطبيق الشريعة الإسلامية». وقاطعني الرجل قائلاً: «تعلم نحن أناس أحرار ولا نعترف بسيد علينا إلا الله سبحانه وتعالى. وإن أهالي بيحان والعوالق وبعض عشائر الخليفة لهم علاقات مع حكومة عدن، لكن نحن لا تربطنا بها أي صلة. نحن أحرار ولسنا تحت حماية أحد». وقلت له: «لكن أنا أعرف أن حكومة عدن تزعم أنكم تحت الحماية البريطانية ورعايا لسلطان العوالق» فصرخ في وجهي قائلاً: «كذابون!».

ورغبت في أن أغير موضوع الحديث مع صالح، وقلت له: «إن النسبين ينحدرون من قبيلة بني هلال مثل الخليفة وآل الفشر». فرد قائلاً: «هم كذلك ونحن بالتأكيد من بني علال. لكن يجب أن تعرف أن عشائر جردان والحاضنة أيضاً من بني هلال. ولتعلم أنهم (عشائر الحاضنة) كانوا في الماضي يعملون في خدمتنا كجنود». وسألت عن مصدر المياه. لأن المعسكر فيه عشرات الخيم، فرد عليَّ أحد الأفراد: «نحن نمتح المياه من «أسماع» وهي بئر قديمة تقع تحت رابية برقة إلى الشمال من حجر - يحرر. وكانت تسمى في الماضي جوفا كما أن هناك العديد من الآبار القديمة التي انطمرت تحت الرمال». وقاطع حديثه رجل عجوز طالباً منه عدم إخطار الأجانب بأسماء هذه الأماكن والمعالم. وبعد هذا التعليق لزم الصمت وبقي في الخيمة حتى ذهابي.

وفي أثناء ذلك تعرفت ولأول مرة على عادة مسيحية قديمة ما زالت تنتشر بشكل واسع في جنوب الجزيرة العربية في المنطقة الممتدة من اليمن إلى حضرموت وهي غمس أرجل الضيوف في زيت الجلجلان أو السمسم. وتقدم نحوي عبد أو خادم وهو يحمل زيتاً في إناء صغير من الجلد. وقام يدهن رجلي وأرجل كل من صالح الحزيق وحمد القردعي. وكان يقوم بمسح الأصابع كلاً على حده وذلك بتمرير يده المدهونة بالزيت عليها للأمام والخلف. وفي النهاية يقوم بمسح كل من قصبة (مقدمة) وربطة الساق بالطريقة نفسها. ويقولون: إن هذه العملية تريح تعب المسافرين. ونسبة لقرب غروب الشمس وجدت عذراً للانسحاب من أجل أداء الصلاة والنظر في المنطقة من حولي.

أحضر إليَّ رجل مريض بأمل أن أقدم له مساعدة علاجية. وقام الرجل بكشف صدره حيث ظهر انتفاخ بحجم بالون الأطفال مع حلمة عند نهايته. وبدا هذا المرض في شكل انتفاخ بسيط في الصدر حيث كان الرجل في سن العشرين. وتدريجياً بدأ يزداد الانتفاخ إلى حجم الدوم ومن ثم تواصل الانتفاخ إلى أن وصل الصدر إلى ما هو عليه الآن من ضخامة؛ لذا فقد استمر يعاني من هذا الداء ما يزيد عن نصف عمره.

وفي المساء دعينا إلى عشاء يتكوّن من وجبة لحم ضأن وعصيدة وضعت في صحون دائرية الشكل لهذه المجموعة الكبيرة من الناس -بما في ذلك عشيرة النسبين-. ولاحظت أن الصحون تحتوي على خمسة رؤوس خراف. وبإلقاء نظرة سريعة على الصحون لوحظ أن مضيفينا بعد أن ذبحوا ثلاثة خراف وهي كافية للعشاء، قاموا بإحضار رأسين من خيمة أخرى ليدللوا على مدى كرمهم. وأثناء العشاء كان الأنس يدور حول الرحالة الأوربيين الذين زاروا هذه المنطقة. وكان صالح يتذكر وايمان بريي بصورة جيدة ولكن معلوماته عن موضوع مخفر - بالمتو قد أصابها بعض الاعتراء بسبب تقادم السنين. ومنظر آثار الهجوم الذي شنه أهل الكرب على الرحالة بريي ومرافقيه يمكن مشاهدته بسهولة من داخل الخيمة التي نجلس فيها، ولكنني لم أزر هذا

المكان. وتجدر الإشارة إلى أن عشيرة صالح بن حزيق (العويرة) هم الذين شنوا الهجوم على وايمان بري والمجموعة المرافقة له. ولكن مرافقنا صالحاً لا يعرف تلك التفاصيل لأنه كان طفلاً يافعا آنئذٍ.

وثمة موضوع آخر تم التحدث فيه خلال هذه الجلسة داخل الخيمة وهو حادث الرحالة ماكسويل - دارلنج. وكانت المجموعة التي تسببت في هذا الحادث وأوقفت ماكسويل ورفاقه بغية السلب والنهب -كما ذكر القوم- هم الفقراء أحد عشائر (المشايخ) أهل أخجام، التي تسكن منطقة المنقعة. ودخلت هذه العشيرة في صدام مسلح مع جماعة ماكسويل نتج عنه تدمير قريتهم. وبعد ذلك أوقف الاشتباك وتم تعويضهم بحوالي ٥٠٠ ريال و ٢٥ بندقية. وقتل في هذا الصدام الدموي اثنان من عشيرة الفقراء. ومما يجدر ذكره أن الراوي للحادث كان لا يعرف شيئاً عن هوية كل من الرجل والمرأة اللذين فقدا في هذا الصدام ولا عن الصدام ولا عن التعويضات التي دفعت. وكان الرحالة ماكسويل قد قدم إلى هذه المنطقة عن طريق أنصاب، يرافقه ثلاثون رجلاً من عشيرة همام بالإضافة إلى ثلاثة جنود تابعين للسلطات البريطانية في عدن. وكانت هذه المجموعة قد خيمت على مسافة من هذا المكان كما فعل الكولونيل ليك في زيارته إلى بيحان قبل عدة سنوات. وكان يرافق الأخير عدد من جنود السلطات البريطانية في عدن بالإضافة إلى ٤٠٠ رجل من عشيرة همام. ولكن يبدو لي أن الرقم الأخير مبالغ فيه كثيراً.

والواضح بالنسبة لنا كان كما يلي: فعلاوة على أفراد عشيرة همام فإن مجموعة من قبيلة النسبين قد رحبت بنا كضيوف أيضاً. ولتنظيم رحلة حول وادي بيحان -كما اقترحوا- فإن من الضروري أخذ موافقة الفرعين الآخرين مع ممثلين لهم لاصطحابنا في هذه الرحلة. وأعلن صالح أنهم سوف يأتون معنا في هذه الرحلة وأن المدعو مبخت -وهو الذي أحضر لنا خطاب الدعوة من قاضي وادي بيحان- ذهب لإخطارنا بوصولهم المتوقع. وواصل صالح كلامه قائلاً: «عليكم بالصبر، فكلهم سوف

يحضرون، وهم يريدون ابن سعود، ومن المؤكد سوف ترى كتابات كفار حجر - تاب في رأس وادي مرخة». وأخطرني صالح بأن تلك الكتابات تبعد بمسافة نصف يوم بالجمال. ويتوجب علينا أن نتوقف في كل قرية لتناول وجباتنا مما يزيد زمن الوصول إلى يومين وليلة. ويمكنني أن أوفر مثل هذا الوقت شريطة أن لا نتأخر في الرحيل من هنا. وقلت لهم: «حسناً سأقوم بالزيارة صباحاً لو جاء المرافقون في الصباح وخلافاً لذلك فسوف أبدأ رحلتي راجعاً إلى شبوة». وقد تركت المشكلة لحلها في صباح الغد.

وهناك موضوع فيه كثير من الأهمية عند عشائر النسبين وهمام وبقية العشائر التي تسكن في هذه المناطق وهو الحج. ففي الظروف الراهنة فإن الحج للحضارمة سواء أكان عن طريق البحر أم البر ولليمنيين سواء أكانوا عصبة أم قوافل حج، يتوجب على هؤلاء الأقوام أن يدفعوا رسوم الحج. وكانت رعية ابن سعود معفاة من هذه الرسوم. وناقشني عبدالله في هذا الموضوع وتعهدت لهم بأنني لن آلو جهداً في إيجاد موافقة تسمح لأفراد عشيرة همام في الحج القادم (فبراير ١٩٣٧م) فور وصولهم نجران بالمرور دونما مساءلة عن الجوازات والرسوم وهم في طريقهم إلى مكة لتأدية فريضة الحج.

أما بالنسبة للمستقبل، فإن بوسع ممثلي هذه القبيلة مقابلة الملك في مكة لعمل الترتيبات الضرورية للحج[1]. وهذا التصرف تمت الموافقة عليه وتأييده من قبل ابن نشمي[2] حاكم نجران الذي أبلغته به. وقد علمت أنه لم يحضر أحد من أفراد عشيرة

---

(١) كانت رسوم الحج من الأمور التي تؤخذ على الحجاج نظير ما يقدم لهم من خدمات ورغم ما كانت تدر من دخل جيد للدولة إلا أن الملك عبدالعزيز أصدر أوامره الكريمة بإلغاء رسوم الحج وذلك اعتباراً من عام ١٣٧١هـ. (المراجعون).

(٢) تولى إبراهيم بن عبدالرحمن النشمي إمارة نجران فترتين: الأولى امتدت من عام ١٣٥٤هـ حتى عام ١٣٥٦هـ، والفترة الثانية من عام ١٣٧٥هـ حتى عام ١٣٨٥هـ. أوراق النشمي، دارة الملك عبدالعزيز. (المراجعون).

همام إلى مكة لحج عـام ١٩٣٧م. وفي تقديري أن السبب في ذلك مـعروف وهو أن السلطات البريطانية في عدن والحكومة البريطانية في لندن أصبحتا أكثر اهتماماً بشؤون حضرموت. وعلى أية حال ففي العام ١٩٣٨م قام وفد صغير من عشيرة همام برئاسة صـلح بن خـميس بزيارة الأراضي المقـدسة. وحدث أن أصـيب ابن خمـيس بحمى خصيرة أثناء أداء مناسك الحج وتوفي ودفن في مكة.

وطلب مني أفراد عشيرة النسبين أن تشملهم المنحة المؤقتة نفسها التي أعطيت إلى عشـيرة همام بالسمـاح لهم بالسفر إلى الأراضي المقـدسة دونما إجراءات سفـر ورسوم طريق. فقلت لهم: إنني لا أستطيع أن أتعامل مع كل فرع من فروع القبيلة على حده. وإنه إذا شعرت أثناء سفـري خلال الوادي -وادي بيحان- أن فروع قبـيلتهم قد أظهرت مشاعر ود كـتلك التي أبدتها عشيرة همام فـسوف تشملهم هذه المكرمة المؤقتـة لتسهيل السـفر إلى الحج. وهناك متسع من الوقت للمـجموعات المخـتلفة للقبـيلة لتشكل رأياً متحداً. وتجدر الإشارة إلى أن النسبين تتكون من ثلاث مـجموعات بالإضافة إلى أقسام أخرى غير مـتحدة. وهناك مجموعـة أهل حسن وتشمل الخميس وزعيـمهم شماع بن خمـس بالإضافة إلى أهل جردان وأهل المسك. والمجموعة الثانية وهي أهل آل راجي، وتنقسم إلى خمـسة أقسام وهي: أهل عسار، أهـل عبدالله بن راجي، أهل طالب بن راجي، أهل ناصر بن علي وأهل عقيل. أما المجموعـة الثالثة فتضم الشوية وتتفرع إلى قسمين وهما: شلامش تحت زعامة صالح بن هادي وعوير تحت زعامة علي بن غازي. وبالإضـافة إلى الأقـسام الآنفـة الذكر توجـد خمـسة فـروع أخرى لا تصنف ضـمن المجمـوعات الثـلاث الرئيسـة وهي: أهل آل قحـيل، أهل سمي، أهل عليـمي، أهل فريش وأهل حسن بن جول. ويبدو أن مـوضوع تجوالي أو عدمه في الوادي في انتظار قرار عشـيرة أهل راجي، التي يعتقد أنهـا تميل إلى أن تكون في منأى عن أي ارتباطات أو تحالفات مع المجموعات القبلية الأخرى.

وتفادياً لأي انطباع سيء فقد عدلت عن أخذ الملاحظات عن طبيعة الوادي بجهاز الثيودلايت إلى منتصف الليل وفي الصباح. واتضح لي أن وادي مرخة يخرج من بين خُشاش والعجز. ويبدو أن الوادي يضيق في هذه النقطة حيث يتراوح عرضه هنا بين ٢٠٠-٣٠٠ ياردة ومن ثم ينحدر باتجاه المنطقة السهلية. وتتفرع من هذا المكان العديد من الحيطان على هيئة شكل مروحي حول الدلتا. ويعتقد بعض الأهالي أن هذه الأبنية عبارة عن بقايا حصون وقصور قديمة. ما عدا عدا برج مراقبة حديثًا نسبياً يعتلي رابية منخفضة الارتفاع على بعد أميال قليلة باتجاه الجنوب الشرقي من معسكرنا، ليس في مقدوري التعرف على علامة تدل على أنه بناء. وهذه الحيطان جيدة البناء مشيدة من قوالب الحجر المحلي وهو في الغالب حجر رملي أو بازلتي بأحجام متباينة. وهذه الحيطان مهدمة حيث تنتشر الكتل الحجرية بصورة غير منتظمة مختلطة بالرمال. والملاحظ أن هذه الحيطان طويلة وتختلف الأبعاد بين كل حائطين بدرجة كبيرة. ونلحظ أن هذه الحيطان بعيدة نسبياً عن مخيمنا بحوالي ٣ أميال في حين أنها لا تبعد سوى ميل أو ميل ونصف عن المنطقة الزراعية؛ لذا فإنني على رأي مفاده أن الهدف من بناء هذه الحيطان تقسيم المنطقة المزروعة إلى مساحات معتولة تسمح بمرور المياه في طريقها إلى الخزان. والفائض من المياه يجري إلى الوادي خلف منطقة الصخور الرملية وهي مثل رابية قرن الفقيه تمثل الضفة اليمنى للقناة الطبيعية. أما الضفة الغربية فتكون الجناح الشرقي لجرف عطفان. وفي منتصف القناة توجد برقة وياحر اللتان أدتا دوراً بارزاً في ربط أنظمة الري القديمة. ومن المحتمل أن هناك خزانًا آخر يربط الممر الضيق بين هاتين الرابيتين. وفي حين أن ياحر تقع في الضفة اليمنى نجد أن برقة تقع في الضفة اليسرى.

وفي الواقع لم تكن لدي أي خبرة شخصية عن نظام الري المشار إليه أعلاه. ولكن منذ أن رجعت من هذه الرحلة وجدت كتاباً يدعم ما وصلت إليه من ملاحظات، صاحبه مكتشف عربي نشيط يسمى نزيه مؤيد العظم. وسوف أدقش

تفاصيل أعماله في الفصل القادم. ولكـن يلاحظ أنه توصل إلى نتيجة مفادها أن عدد الفواصل المنظمة للري في مـأرب يصل إلى ٢٢ فاصلة. ويبدو أن نظام الري في هذه المنطقة لا يمكن اعتباره نظام قنوات أو نظام أحواض إنما هو نوع من السيطرة والتوجيه الأمثل لمياه السيول بغية الاستفادة منها.

وبينما كنت منهـمكاً في بحث موضوع أنظمـة الري في المنطقة كمـا تظهر من منظر الحوائط الحـجرية وصل وفد من قـبيلة النسبين التي تقطن أعلى الوادي السـاعة التاسـعة والنصف وأطلق أفراده طـلقتين للتحـية. وقد أوفـدهم زعيمـهم صالح بن هادي، وهو الآن لأسباب لا أدري ما كنهها قلق للغـاية من عدم زيارتي للمستوطنات المختلفـة في الوادي (حجر - واسطة، حـجر- الصعدة، ديمة وحـجر - ناب). وفي أثناء ذلك طلب مني صـالح بن عبدالله أن أمكث حـتى منتصف اليوم لتناول وجـبة الغداء. وكنت قلقاً من أي تأخـير ينجم عن دعوة لوليمة أخرى في ضـيافة صالح بن هادي، ،لكن سمح لي في نهـاية الأمر بالمغادرة قائلاً: «مرحـباً بك وأنت حر طليق في أن تنتقل في بلادنا كما تشاء».

وتأخـر مسـيرنا لسـبب آخر وهو احـتـياجنا للمـياه سـواء لإعداد الطعـام أو للسيـارات. وقررت أن لا أزور عيـاذًا مرة أخرى وأن أمضـي ليلة واحدة عند أطراف الصحراء في وادي مرخة أو وادي جردان قبل الرجوع إلى مخيم صالح بن حزيق في أنصـب. ويجب أن تذهب جمـالنا لموارد الماء للسقيا استعداداً للـرحلة في فجر اليوم المقـل. وفي أثناء ذلك كان رفـاقي منشـغلين في تجهيـزات الرحلة وهم يتحـدثون ويتسامرون. وبعد شروق الشمس انفض سـامرهم ولم يجتمع شملهم إلا عند الساعة الحادية عـشرة ظهراً. وعند الساعـة الحادية عشرة والـنصف وصلت قافلتنا إلى وادي بيحان عند ديار قـبيلة النسبين تلبيـة لدعوة صالح بن هادي. وعند الظهيـرة استودعنا أفراد هذه العشيرة وكافأنا صالحاً على كرمه واتجهنا ناحية الشرق فالشمال الشرقي عبر منطقة رمليـة تتناثر فيها أبنيـة الري القديمة ومن ثم دخلنا سهل همـام الواسع. وبعد

مسيرة اثني عشر ميلاً وصلنا نقطة يضعف فيها مجرى الوادي وتصعب رؤيته. رأينا غزالاً عفريًا وتمكنت من صيده بعد مطاردة لمسافة ثلاثة أو أربعة أميال. وبعد قيل وقرب نهاية وادي مرخة ظهرت لنا مجموعة من ثلاثة غزلان (ادمي) تمكنا من صيد إحداها. وصلنا نهاية الوادي وعلامته رقعة من شجيرات الأكاسيا. ويمكننا من هنا رؤية حجر-يامر على بعد ثلاثين ميلاً. أصبح لدينا الآن خمسة من غزلان الصيد ويمكننا أن نحتفظ بواحدة للعشاء ونأكل أخرى الآن. وسوف نبقي الأخريات كهداية للناس - بمن فيهم -بالطبع- صديقتي في معسكر صالح.

وتوجهت قافلتنا شمالاً باتجاه طرف الرملة، وعند اقترابنا منها مررنا بقطيع كبير من الجمال ترعى أعشابًا حديثة النمو عند أطراف الكثبات الرملية. وقد ابتعدنا عن هذا المنظر لاسيما أننا لم نتمكن من التعرف على هوية الرعاة. وفي نهاية المطاف وصلنا إلى حزام رملي يتكون من عدة كثبان يسمى أبو جنب. وتعبر القوافل عادة هذا الحزام الرملي من شبوة إلى حريب عن طريق واد يسمى شعيب جميل في مسيرة يوم ونصف. وبعد حوالي الميل وصلنا إلى رملة، وتعرف هنا باسم رملة الحدب، بعد أن عبرنا أرضاً مرتفعة نسبياً على مقربة من الكثيب الرملي المسمى أبو جنب. ويلاحظ أن الكثبان الرملية المنخفضة شبه خالية إلا من نزر يسير من الأعشاب يسمى النصي.

وبعد أن توجهنا إلى الجنوب الشرقي قليلاً عبر منطقة خشم غبر السهلية المغطاة بالرمل والحصى الناعم. وكل هذا السهل الممتد من عُقلة إلى عطفان باسم جو الخديف. وتنتشر في السهل قطعان صغيرة تتراوح بين ثمانية إلى عشرة غزلان. ولم نجرؤ على مطاردتها لاسيما وأن الوقت قد تأخر وأوشك الليل أن يرخي سدوله. وبعد مسيرة خمسة أميال ونحن نقترب من وادي جردان تحولت طبيعة السهل الرملية إلى أرض خشنة نسبياً يغطيها سطح رملي متموج موشى بأعشاب النصي. ويلاحظ أن مجرى الوادي يميزه شريط عريض من شجيرات الأكاسيا الشوكية التي تبرز بشكل لافت للنظر من كثبان الرمل. وقد قطعنا الآن مسيرة ٧٥ ميلاً منذ أن غادرنا مخيم

النسبين وكنا سعداء في أن نقف للمبيت. وإنه لشيء رائع أن ننعم بالسلام بعد أن انقشعت أيام المعاناة القاسية في كل من عياذ وحجر يحرر. ومنذ فترة الاعتدال الربيعي بدأت أجواء الخريف تزحف علينا فأصبح الليل بارداً كما أن الرؤية في الصباح الباكر كانت جيدة بصورة مدهشة. وبلغت درجة الحرارة في الساعة الحادية عشرة صباحا ٦٦° وهبطت في المساء إلى ٥٧م. ورغم ذلك كان المكان مقفراً موحشاً إلى درجة أنه لم تمر أي حشرة باتجاه الضوء الذي كنت قد أشعلته خلال الليل. وأسراب الطيور الوحيدة التي عبرت فوق رؤوسنا هي القنبرة والصرد (الدعناش). والنوع الأخير قادم من منطقة عفار. والقرار الذي أصدرته بخصوص حظر أكل اللحوم استمر سارياً ولذلك تناولنا فقط العصيدة في العشاء. وبسبب تقلص المؤن الغذائية التي بحوزتنا منذ أن كنا في عياذ، فقد نفحت أحد الرجال بعض المال بغية الذهاب إلى بلدة الجابية في منطقة الحاضنة ليحضر لنا إمدادات غذائية. وطلبت من ابن مدعار أن يشتري له بعض الملابس النسائية ليأخذها معه كهدية لأسرته.

وعلى بعد ميلين من روابي القرنين اختفى تماماً أي أثر للوادي الذي كان مستمراً إلى الأطراف الرملية لمنطقة الرملة. ولم نبتعد كثيراً عن هذا المكان حينما لمحنا قطيعاً صغيراً من غزال العفري يغري بالمطاردة. وانطلقت ومعي فراج خلف هذا القطيع. وأطلق الأخير أعيرة نارية تجاهه ولكن دون جدوى. وتمكن أخيراً من إصابة أحد أذني الغزال الذي انطلق مضاعفاً سرعته للهرب. وعندما شعر بالإرهاق اختفى داخل مجرى منخفض خشن التضاريس كيما يستجمع أنفاسه وكانت تفصلنا منه بعض الشحيرات. وأفرغ فراج عشر طلقات دون أن يصيب الغزال في مقتل. وتمكنت في الطلقة السابعة أن أضع نهاية لهذه المطاردة المثيرة التي أبعدتنا حوالي عشرة أميال من مخيمنا.

وتوقفنا عند أول رابية يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدماً وتغطي مساحة عدد من الأفدنة، وتتشكل من الصخور الرملية المتوحلة وتتخللها الأكاسيا والشجيرات الشوكية

الأخرى. وأمدتني قمة الجبل بمنظر رائع للمنطقة المجاورة والممتدة من مرتفع عضات في جهة الجنوب الغربي إلى خشم الرميد في جهة الشمال الشرقي. ومن هذا الموقع تختفي شبوة تماماً من المنظر العام بسبب تداخل أجزاء اللسان الصخري والممتد نحو البحر لجبل قليب الكبير. ونلاحظ أن روابي القرنين تبدو وكأنها جزر صغيرة في محيط من الرمال. ويبدو أنها كانت تمثل منطقة جذب مدهشة للطيور المهاجرة التي من أبرزها طائر الوقواق وطائر الدج المغرد وطائر الأبلق (أبو بلق) واثنان من الطيور المعروفة باسم «أبيض الحنجرة».

وانطلقنا عبر السهل باتجاه الجرف الصخري بغية الوصول إلى الجزء الأعلى من وادي أنصاب قبل أن نصل إلى مخيم صالح. وحالما وصلنا إلى الأراضي الصلبة عند طرف منخفض فاليق استرعى انتباهنا أن اثنتين من النسوة كانتا ترعيان قطيعاً من الضأن في بقايا أعشاب وشجيرات حاولتا الهرب فور رؤيتنا. وذهب صالح لطمأنتهن وليعرف أخبار المخيم خلال فترة غيابه. وتابعنا المسير حيث اجتزنا منطقة يغطيها الحصى الخشن الذي يزداد خشونة كلما تقدمنا إلى الإمام إلى أن وصلنا إلى حرف مجرى وادي أنصاب الذي يوجد به العديد من الثقوب التي يتخذها طائر جنح أعشاشاً له. وتجدر الإشارة هنا إلى أن طريق القوافل من حضرموت إلى قيم العوالق، ويشبم، وأنصاب يمر بهذا الوادي الذي تغطيه أشجار المشعط الكبيرة والعنب إضافة إلى أعداد وفيرة من أشجار الأكاسيا الشوكية. وعلى جانبي هذا الوادي توجد الصخور المكسرة الخشنة الملمس تعلو صخوراً رملية حمراء تبرز هنا وهناك أحياناً على هيئة منكشفات صخرية.

وعند طرف الوادي وتحت شجرة ظليلة كبيرة الحجم، كان هناك طفل يصرخ بصورة مفعمة بالحيوية في حين أن النساء كن منشغلات بسقيا أغنامهن. لذلك فقد أخذت معي بندقيتي وكانت وجهتي تجاه الوادي إلى منطقة العريجا التي تبعد نحو ميل بغية تزجية الوقت في اصطياد الطيور التي تتجمع هناك. وعلى النقيض من وادي

القرنين، فإن الطيور هنا كلها محلية[1] وليست مهاجرة. وأهم أنواعها طائر الشمس وآكل النحل والبلبل وطائر البداية السوداء وقليل من طيور الغداف والهدهد. وعند رجوعي إلى أسفل الوادي حيث كان رفاقي يقومون بملء الأوعية الجلدية (القرب) والبراميل بالماء استعداداً لرحلة طويلة عبر الصحراء. وفدت إليَّ ثلة من النساء جميلات وصغيرات السن وهن يحملن زبدية كبيرة مملوءة بالحليب، فأعطيتهن هبة سخية نظير هذا الصنيع. وقد أخطرنني بوجود مورد ماء آخر مشاش، على مسافة نصف ميل في اتجاه مجرى وادي جنح. والوادي في هذا القطاع بين العريجا وأجفر الرخم يغطي مجرى مياه تحت الأرض ويمكن الحصول على مياهه من حفر غير عميقة.

وفي صبيحة اليوم التالي واصلنا الرحلة مبتعدين عن الأراضي غير المستوية والحصوية وذلك بالالتفاف حول منخفض جربة الكافر ولم يمض زمن طويل بعد الساعة الثالثة بعد الظهر حتى وجدنا أنفسنا أمام مخيم صالح. وانطلق محمد برفقة سالم بن عايض من عشيرة العويرة إلى شبوة لإحاطة «الجيش» علماً بملتقانا مساء اليوم التالي في عارين، حيث تواعدنا أن نمضي الليلة الأولى من مراحل عبورنا للصحراء. وسرعان ما رجعت السيارة وأخطرنا بالموافقة على هذا الملتقى. وتأخر ابن مدعار ومجموعته عن قافلة الجمال في مرخة بعد مغادرتنا لها وواصل مسيره متأخراً بعد الظهيرة مما جعله يصل إلى منطقة أجفر الرخم في ظهر اليوم التالي وانضم إلى بقية المجموعة عند مغيب الشمس. وأمضينا الليلة في ضيافة صالح ولم نذبح أي غزال واعتمدنا على الوجبات العادية رغم التذمر الذي أبدته المجموعة المرافقة.

(١) رأيت في زيارتي السابقة قبل أيام فقط عدداً من أنواع الطيور المهاجرة ولكنها على ما يبدو طردت من هذا المكان. (المؤلف).